



سيرة امير المؤمنين (ع)

مجلد ۱

۱۴۰۲ هـ

نجاح الطائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيرة الامام على بن ابي طالب عليه السلام

كاتب:

نجاح الطائي

نشرت في الطباعة:

دار الهدى لآحياء التراث

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٠	سيره الامام على بن ابى طالب عليه السلام
١٠	اشاره
١٠	مقدمة
١١	وليد البيت العتيق
١١	بزوغ الفجر
١١	اشاره
١٢	فى كفالة رسول الله
١٢	حصيلة الأعداد النبوى
١٣	فى كنف الوحى
١٣	اول المؤمنين
١٤	اشاره
١٤	اول الدعاء
١٥	مواجهة الجاهليين
١٥	ابوطالب يتصدى لأعداء الرسالة
١٦	ابوطالب فى الحصار مع رسول الله
١٧	الى دار الإسلام
١٧	فى فراش رسول الله
١٨	الانتظار فى قبا
١٩	مهمات ما بعد الهجرة
١٩	اشاره
١٩	باس فى الحرب
١٩	فى معركة بدر

- ٢٠ و فى معركة أحد
- ٢٠ و فى غزوة الأحزاب
- ٢١ و فى غزوة خيبر
- ٢١ غزوة حنين
- ٢١ على فى منظار الإسلام
- ٢٢ اشاره
- ٢٣ من فضائل الأمام على
- ٢٣ خطبة الغدير
- ٢٤ على فى عهد الخلفاء
- ٢٤ اشاره
- ٢٥ فى خلافة أبى بكر
- ٢٦ فى خلافة عمر بن الخطاب
- ٢٧ فى عهد عثمان
- ٢٧ خاتمة
- ٢٨ دعونى والتمسوا غيرى
- ٢٨ مقدمة
- ٢٨ الامام الخليفة
- ٢٨ اشاره
- ٢٩ الميدان السياسى
- ٢٩ الميدان الاقتصادى
- ٣٠ منهاج الإصلاح
- ٣٠ اشاره
- ٣٢ رفق وتعاهد
- ٣٣ رقابة دقيقة لوضع السوق

٣٤	حياته المتواضعة
٣٥	مساواة أهل بيته بسائر الناس
٣٦	سياسة رد الفعل
٣٦	اشاره
٣٦	موقف معاوية
٣٧	خلفيات المطالبة بدم عثمان
٣٨	موقف الأمام على أيام الأزمة
٣٨	حرب البصرة
٣٨	اشاره
٣٩	الموقف الإنساني
٤٠	حرب صفين
٤٢	حرب النهروان
٤٣	في ذمة الله
٤٥	ما وجد لي كذبة في قول و لا خطلة في فعل
٤٥	توطئة
٤٥	اشاره
٤٦	فضائل على من حديث رسول الله
٤٧	نصوص الإمامة
٤٨	شخصية على من خلال عناصرها الأساسية
٤٨	علاقة الإمام على بالله تعالى
٤٩	شواهد من عبادة أمير المؤمنين
٤٩	اشاره
٤٩	صلاة و ضراعة
٥١	توجه و رهبة

٥١	ولع بالصلاة
٥١	عبادة الشاكرين
٥١	صلاة الرسول
٥٢	تعاهدوا أمر الصلاة
٥٢	المنهج العبادى فى خطوطه الأساسية
٥٢	اشاره
٥٢	توكل صادق و يقين راسخ
٥٣	مصاديق من زهد الإمام
٥٤	صدقة الإمام
٥٤	الجهاد فى سبيل الله
٥٧	الاخلاق الاجتماعيه
٥٧	اشاره
٥٨	اشاعة العدل الاجتماعى بين الناس
٥٨	اشاره
٦٠	وصايا للولاء
٦١	و من توجيهاته لجباة الأموال
٦١	و من تعليماته لجيوشه
٦١	تواضع الإمام
٦٣	حلم الإمام
٦٣	اشاره
٦٣	وهذه نماذج من عفوه
٦٥	التورع
٦٦	شواهد من صبر الإمام
٦٩	فى حقل المعرفة

٧١	من أبعاد المعرفة
٧٢	صور من الفكر العقائدى
٧٢	اشاره
٧٣	وحدانية الله عزوجل
٧٣	الرسالة و النبوة
٧٤	خط الإمامة فى دنيا الإسلام
٧٥	صور من الفكر السياسى- الاجتماعى
٧٦	مصنفات الإمام وأعماله العلمية
٧٦	اشاره
٧٦	جمع القرآن الكريم مرتباً حسب النزول
٧٦	مصحف فاطمة
٧٦	الصحيفة
٧٦	الجامعة
٧٧	صحيفة الفرائض
٧٧	كتاب الجفر
٧٧	المصنفات فى تراث الإمام الفكرى
٧٨	انباء المستقبل
٨٠	طرف من مواعظ الإمام
٨٠	قبس من حكم الإمام
٨١	پاورقى
٩٧	تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

سیره الامام علی بن ابی طالب علیه السلام

اشاره

سرشناسه: طایی

۱۳۳۲ -

عنوان و نام پدید آور: سیره الامام علی بن ابی طالب علیه السلام نجاح الطائی.

مشخصات نشر: بیروت دارالهدی لاهیات التراث ۱۴۲۴ق. ۲۰۰۳م. ۱۳۸۲.

مشخصات ظاهری: ۷ج. (در سه مجلد).

وضعیت فهرست نویسی: فاپا

یادداشت: عربی.

یادداشت: ج. ۲ و ۳ و ۴ در یک مجلد منتشر شده است.

یادداشت: چاپ دیگر: قم: دارالهدی لاهیات التراث، ۱۳۸۳.

یادداشت: ج. ۱ تا ۴ (چاپ سوم: ۱۴۲۶ق. = ۲۰۰۵م. = ۱۳۸۴).

یادداشت: کتابنامه.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- سرگذشتنامه

رده بندی کنگره: BP۳۷/ط۱۵س ۹ ۱۳۸۲

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱

شماره کتابشناسی ملی: ۱۱۴۹۸۵۶

مقدمه

«ما لقی أحد فی هذه الأمة ما لقیته..» [۱] الإمام علی (علیه السلام) لم یلاق، عظیم فی التاریخ البشري، ما لاقاه علی بن أبی طالب (علیه السلام)، من ظلم وأثره فی حیاتة وبعد موته.

فإذا كان قد عانى الكثير فی حیاتة، الملیئة بالمآثر والأمجاد، فإن الظلم قد استبد به، فحرم من أبسط الحقوق وهی: کتابة تاریخیة، بإنصاف وصدق، بعد وفاته، ولفترة طويلة.

فبعد رحیل الإمام إلى الرفیق الأعلى، أخضعت أجيال الأمة الإسلامیة، لعملیة مسح دماغی، لیس لها مثل، کی تنسى علیاً (علیه السلام)، ودوره الإيجابي الفعّال، فی دفع حركة الإسلام التاریخیة، نحو العزّة والمجد.. أو لتأخذه فی إطار مشوه ممسوخ!!

وحسبك، بأن عشرات من السنين، قد سخرت فیها المنابر - وهی أعظم الأجهزة التربویة والإعلامیة لدى المسلمین يومذاك - فی سب علی (علیه السلام) وتشویه تاریخه الفذ.. حقداً علی الإسلام، وثأراً لمشرکی بدر..

فكانت «خطبة الجمعة» مثلاً فی العهد الأموی، تفتتح بالنیل من الإمام (علیه السلام)، بكلمات یأبى التاریخ أن تسطر علی صفحاته [۲] وكانت تسند تلك العملیة قوی، وأجهزة حكم، ورواة ومحدثون مأجورون، ومؤرخون للسلطین، و.. محاولة طمس معالم تاریخ الإمام علی (علیه السلام) ..

بید أن تاریخ الإمام علی (علیه السلام)، وإن كان تعرض لذلك اللون المخجل، والطمس والتزویر، والتجهیل، فإن أحداً، کائناً من كان، لیس بمقدوره أن یطمس معالمه الأساسیة، لارتباطها العضوی بالإسلام الحنیف ومجده.. فحبل الكذب قصیر.. ولا یحقی المکر

السيء إلا بأهله.

وهكذا، فإن الأقلام المأجورة، وتشكيكة المرتزقة، التي حاولت أن تكتب لعل تاريخاً على هواها، ووفقاً لمصالحها، وما تملك من خلفيات ومرامي منخفضة، قد أخطأت التقدير، وجهلت أن الحق لا يمكن أن يحجب طويلاً، وأن الزبد لا بد أن يذهب جفاء... وشعوراً منا بالمسؤولية الشرعية في توعية الأمة، وتبصيرها بحقائق دينها ووقائع تاريخها المجيد، ونفض تراب التعمية والتضليل عن حقائق أحداث المسيرة التاريخية لهذه الأمة منذ بدايات تاريخها... شعوراً منا بهذه المسؤولية العظيمة نضع هذه الدراسة حول سيرة الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) ودوره في حركة الإسلام التاريخية بين أيدي المسلمين.. وللضرورة الفنية قسمت هذه الدراسة إلى أقسام ثلاثة:

سنتناول في القسم الأول منها سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعهد الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً في قيادة المسلمين.

وفي القسم الثاني: ينصب البحث على دراسة حياة الإمام (عليه السلام)، أيام توليه (خلافة) المسلمين، ومواقفه البطولية النبيلة، في مجالات السياسة، والإدارة، والاقتصاد، والاجتماع، وشؤون الحرب والسلم وأمثال ذلك.

أما القسم الثالث: فيتخصص في إبراز الملامح الأساسية لشخصية أمير المؤمنين (عليه السلام)، من حيث علاقته بالله تعالى، وعلاقته بالناس من حوله، وعطائه العقائدي، والعلمي، والفكري، الذي أسداه للأمة الإسلامية والناس أجمعين.

والله نسأل التسديد والتأييد، والهداية والتوفيق للعمل من أجل تكريس كل الطاقات، والإمكانات المتاحة في إطار الصراع الفكري القائم، بين أمتنا الإسلامية المجاهدة، وبين خصومها الألداء، حتى تسود شريعة الإسلام العظيم.. إنه سميع مجيب.

١ / ١ / ١٩٩٩ م

المؤلف

وليد البيت العتيق

بزوغ الفجر

اشاره

في يوم الجمعة، الثالث عشر من شهر رجب المبارك، وقبل بعثة محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) باثنتي عشرة سنة، اشتد المخاض على فاطمة بنت أسد، فجاء بها أبو طالب إلى الكعبة المشرفة، وأدخلها فيها ثم قال لها اجلسي.. وخرج عنها فرفعت يدي الضراعة إلى العلى الأعلى سبحانه قائلة: «ربي إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل (عليه السلام) وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلا ما يسرت علي ولادتي. [٥].

ولم يمض على فاطمة غير ساعة حتى أعلنت أنها قد ولدت ذكراً، وهو أول مولود ولد في الكعبة المشرفة ولم يولد فيها بعده سواه تعظيماً له من الله سبحانه وإجلالاً، [٦] وأسرع البشير إلى أبي طالب وأهل بيته، فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم..

وتقدم من بينهم محمد [٥] (صلى الله عليه وآله) فضمه إلى صدره وحمله إلى بيت أبي طالب، حيث كان الرسول في تلك الآونة، يعيش مع خديجته، في دارهما منذ زواجه منها.

وانقده في ذهن أبي طالب، أن يسمى وليده «علياً» وهكذا كان..

وأقام أبو طالب وليمة، على شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام. [٦].

وقد حضر وليمته جمع حاشد من الناس: قدموا التهاني، وعاشوا ساعات من البهجة، أبدوا فيها مشاعرهم الفياضة، وأحاسيسهم السامية،

نحو عميدهم شيخ الأبطح، ووليدته المبارك..

ومرت الأيام سريعة، والوليد المبارك يتقلب بين أحضان والديه: أبي طالب، وفاطمة، وابن عمه محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي كان دائم التردد على دار عمه، التي ذاق فيها دفء المودة، وشرب من ينابيع الإخلاص والوفاء الصافية، خلال سنوات صباه وشبابه. أجل كان محمد (صلى الله عليه وآله) يتردد كثيراً على دار عمه، بالرغم من زواجه من خديجة، وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل عالياً بعواطفه، ويحوطه بعنايته، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره.. ويحرك مهده عند نومه، إلى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية..

في كفالة رسول الله

وبعد مضي ست سنوات على ولادة علي (عليه السلام) تعرضت قريش لأزمة اقتصادية خانقة، وقد كانت وطأتها شديدة على أبي طالب، إذ كان رجلاً ذا عيال كثيرة، وكهف يلوذ به المحتاج والفقير، بحكم مركزه الاجتماعي في مكة... أيرضى المصطفى (صلى الله عليه وآله) وبني هاشم، أن تقسوا الحياة على عميدهم؟!

أقبل الرسول (صلى الله عليه وآله) على عمه العباس بن عبدالمطلب، وهو أثرى بني هاشم يومها، فخاطبه بقوله...: «يا عم، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إلى بيته لنخفف من عياله، فتأخذ أنت رجلاً واحداً، وأخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه..» [٧].

وحظي رأى المصطفى (صلى الله عليه وآله) بالتأييد والرضاء من لدن عمه العباس، فأسرعاً إلى أبي طالب، وخاطباه بالأمر، فاستجاب لما عرضاً قائلاً: «إذا تركتما لي عقياً وطالبا، فاصنعا ما شئتما..» [٨]. فأخذ العباس جعفرًا...

وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام)، وكان عمره يومئذ ستة أعوام، [٩] وقد قال (صلى الله عليه وآله)، بعد أن اختار علياً (عليه السلام): قد اخترت من اختاره الله لي عليكم - علياً. [١٠].

وهكذا عاش علي (عليه السلام) منذ نعومة أظفاره في كنف محمد (صلى الله عليه وآله): نشأ تحت رعايته، وشرب من ينابيع مودته وحنانه، ورباه وفقاً لما علمه ربه تعالى، ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ، حتى لحق الرسول (صلى الله عليه وآله) بربه الأعلى..

حصيلة الأعداد النبوي

أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى أبعاد التربية التي حظى بها من لدن قائده الرسول (صلى الله عليه وآله)، ومداهها وعمقها، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة، إذ جاء فيها ما نصه: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمه وما وجد لي كذبه في قول، ولا خطأه في فعل.

«ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله، من لدن إن كان فطيماً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به».

«ولقد كان يجاور في كل سنة (بحراء) فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام، غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة، وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة..» [١١].

والذي يستقرى هذا النص، يامعان، يتجلى له أن علياً (عليه السلام) قد حظي برعاية الرسول (صلى الله عليه وآله) وحده، وإيثاره أيام طفولته، فكان يمضغ الشيء ثم يضعه في فمه، ويضعه في حجره، ويضمه إلى صدره، ويعامله كما لو كان ولده الحبيب...

أما في صباه، وشبابه، فقد أنصب جهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على تكوين شخصيته: إذ كان يأمره بالإقتداء به، وسلوك سبيله، وفي كل يوم يرفع له من أخلاقه علماً وعلى كان يتبع أثره، أولاً بأول، كما يصف ذلك في حديثه.

ولهذا وذاك، فإن من خطئ الرأي، أن لا يعتقد إمرء أن مسألة اختيار علي (عليه السلام) من لدن الرسول (صلى الله عليه وآله) كانت هادفة ابتداء لكى يأتي صورة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في فكره ومواقفه وشتى ألوان سلوكه، بل حتى في مشيته. [١٢].

فلقد كان الإمام علي (عليه السلام) من الصفا الروحي، والاستقامة الخلقية، وفقاً لما علمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحيث كانت تتكشف له الكثير من حجب المستقبل المستور، فهذا هو يقول: «ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه، صلوات الله عليه، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعل خير...» [١٣].

فإن الشوط الذي قطعه في مضمار التقرب إلى الله سبحانه، وامتنال أوامره، وتجسيد متطلبات رسالته، رشحه لأن يكون وزيراً للنبوّة، وهو مقام، لا يناله إلا من قطع شوطاً بعيداً، باتجاه قمة الفضيلة والتقوى، فلم يفصله عن الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا درجة النبوّة، فارتقى منصّة الوزارة بحق وجدارة، وهكذا كان علي...

في كنف الوحي

وإذا كان الإمام (عليه السلام) قد عاش ستّة سنوات، في أحضان والديه وإخوته، وكان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) دور بارز في رعايته، طوال تلك السنوات النديّة من عمره (عليه السلام). فإن رعاية علي وتربيته، صارت من اختصاص المصطفى (صلى الله عليه وآله) دون منازع، منذ السنّة السادسة، حيث انتقل (عليه السلام) إلى داره (صلى الله عليه وآله) على أثر الضائقة الماليّة التي ألّمت بأبيه أبي طالب، كما ذكرنا.

ومنذ تلك السن المبكرة عاش علي (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيته قبل الدعوة، حيث قضى تحت رعايته سنوات الصبا وسنوات التفتح على الحياة، وخلالها عاش الإمام (عليه السلام) كل التطورات التي اكتنفت حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) عليه وآله..

فعلى لم يحظ بالتربية المألوفة، التي يحظى بها غالباً طفل من لدن أبيه، أو صغير من لدن أخيه الأكبر، وإنما كان إعداداه وتربيته من نوع خاص، وحسبك أنه كان يتبع محمداً (صلى الله عليه وآله) حتى في ساعات اختلائه في غار حراء.. ويشهد التطور الروحي والفكري الذي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمر فيه، وها هو (عليه السلام) يستذكر تلك الأيام الخالدة وذلك الشطر الحساس من حياته، فيقول...: «ولقد كان يجاور في كل سنّة بحراء، فأراه، ولا يراه غيري» [١٤] - كما ألمحنا إلى ذلك - أجل كان (عليه السلام) يعيش التحول الروحي الهائل، الذي شهدته نفس المصطفى (صلى الله عليه وآله)، حتى اشرق عليه وحي السماء المبارك.

ولقد كان للمستوى الروحي والخلقي البعيد المدى الذي سمت إليه نفس علي (عليه السلام)، أن شعر بالتحول الكبير، الذي جرى في عالم الغيب، من انهزام للشيطان، بعد يأسه من أن يُعبد، فور بعثه الرسالة الخاتمة... فلقد شهد على إرهاصات النبوّة التي شهداها أستاذه ومعلمه الرسول (صلى الله عليه وآله)، وعاشها كما عاشها بملء كيانه، حين سطع الهدى، وتلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أول بيان من السماء، لتكليفه بحمل الرسالة.

(إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ - خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ - إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ - الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ - عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق). (١-٦)

اشاره

حين تلقى الرسول (صلى الله عليه وآله) بيان التكليف الإلهي، بحمل الرسالة، عاد إلى بيته فأطلع علياً [١٥] (عليه السلام)، بأمره فاستقبله (عليه السلام) بالتصديق واليقين، كذلك فعلت خديجة الكبرى، فانبثق من أجل ذلك أول نواة لمجتمع المتبقي في الأرض. على أن يجدر بنا، أن نعي أن علياً (عليه السلام) لم يدعه الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الإسلام كما دعا غيره فيما بعد، أبداً، لأن علياً (عليه السلام) كان مسلماً على فطرة الله تعالى، لم تصبه الجاهلية بأوضاعها، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها، وكل الذي كان: أن علياً (عليه السلام) قد أطلعه الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) على أمر دعوته ومنهج رسالته، فأعلن تصديقه وأيقن بالرسالة الخاتمة، وبادر لتلقي توجيهاته المباركة تلقى تنفيذ وتجسيد.

ولهذا يقال (كرم الله وجهه)

فإن علياً (عليه السلام) كان مؤهلاً - كما بينا في مطلع الحديث - لاتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في دعوته، لأنه (صلى الله عليه وآله) كان قد أنشأ شخصيته، وأرسى لبناتها الأساسية.

ولا أظنني أضيف جديداً إذا قلت أن الإمام (عليه السلام) لم يفاجأ بأمر الدعوة المباركة، طالما عاش في كنف رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتغيا ظلاله، فالمصطفى (صلى الله عليه وآله) - كما نعلم - كان يعبد ربه تعالى وينأى عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته، قبل أن ينزل عليه وحى السماء، بأول سورة من القرآن الكريم. [١٦].

وعلى (عليه السلام) كان مطلعاً على عبادة أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وممارساته وتحولاته الروحية والفكرية، فكان يتعبد معه، وينهج نهجه، ويسلك سبيله، في ذلك السن المبكر من عمره..

أما حين فاتحه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر الدعوة الإلهية، فقد لبي النداء بروحه ووعيه وكل جوارحه، دون أن يباغت في الأمر، وإن كان هناك جده في المسألة فإنما هي في الكيفية التطبيقية للرسالة ودرجة المسؤولية الواجب تحملها أو تفاصيل الأحكام.. وحين بُلِّغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر التكليف الإلهي لحمل الدعوة المباركة، بلغ كذلك، أن تنصب دعوته أولاً على الخاصة من أهل بيته (عليهم السلام)، وقد أشار ابن هشام في سيرته لذلك بقوله: «فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يذكر ما أنعم الله عليه، وعلى العباد به، من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله..» [١٧] ومن أجل ذلك فاتح علياً وخديجة بالدعوة - كما ذكرنا - وبعدهما زيد بن حارثة، وبقي أمرها طي الكتمان لا يعلمه غير هؤلاء، وبعض الخاصة من أهل البيت (عليهم السلام).

وقد أشار الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في حديث له حول إسلام جده علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله...: «ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله (صلى الله عليه وآله) وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله وبرسوله والى الصلاة ثلاث سنين». [١٨].

ولأسبقيته في حمل الدعوة أشار الإمام (عليه السلام) في حديث جاء فيه «... ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة..».

وبعد أن تخطت الدعوة مرحلة دعوة الخاصة من أهل البيت (عليهم السلام) جاءت مرحلة دعوة من يتوسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفيهم القبول لدعوته، فانخرط عدد من الناس في سلك الدعوة، كان أغلبهم من الشباب، وكانت لقاءاتهم من أجل قراءة القرآن الكريم، والتعرف على أحكام دين الله تعالى تتم بصورة سرية..

اول الدعاء

ثم أذن الله عز وجل لرسوله (صلى الله عليه وآله) بدعوة عشيرته الأقربين من بني هاشم، ليوسع من مدار الدعوة بذلك، فقال تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ - وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئْءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) (الشعراء: ٢١٦-٢١٤).

فلما تلقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر ربه الأعلى بإنذار عشيرته الأقربين، أمر علياً (عليه السلام) أن يدعوهم إلى طعام عنده، فحضروا إلى دار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانوا أربعين رجلاً.

وبعد أن تناولوا طعامهم، بادرهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله «.. يا بني عبدالمطلب، أن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال: «وأنذر عشيرتك الأقربين» وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة، وتتجون بهما من النار، شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله» فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويوازنني عليه، وعلى القيام به يكن أخى ووصي ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى..» [١٩].

وبين تنديد أبى لهب، وتحذيره للرسول (صلى الله عليه وآله) من الاستمرار بالدعوة من جهة، وتأيد أبى طالب له ومخاطبته الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله: «فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك». [٢٠].

أقول من خلال التأييد، الذى أعلنه أبوطالب، والتنديد البليد الذى أعلنه أبو لهب، وقف على بن أبى طالب (عليه السلام) وكان أصغر الحاضرين سنّاً فقال: «أنا يا رسول الله أوازرك على هذا الأمر» فأمره الرسول (صلى الله عليه وآله) بالجلوس، ولما لم يجبه أحد نهض على ثانية والرسول (صلى الله عليه وآله) يجلسه..

وأعاد الرسول (صلى الله عليه وآله) دعوته إلى قومه، فلم يجبه أحد، وكان صوت على (عليه السلام) وحده يلبى الدعوة، ويهدر بالمؤازرة والنصرة، فمزق صمتهم بصلابة إيمانه، وقوة يقينه، وحيث لم يجب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحد للمرة الثالثة.. التفت إلى مجيبه الوحيد، قائلاً: «اجلس فأنت أخى ووصي ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى». [٢١].

فنهض القوم من مجلسهم، وهم يخاطبون أباطالب: «ليهنك اليوم أن دخلت فى دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك».

مواجهة الجاهليين

ودخلت الدعوة إلى الله مرحلة المواجهة - بعد إنذار العشيرة - وأول من قاد ردّ الفعل أبو لهب وزوجته، وكانا يعترضان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويزرعان المشاق فى طريقه، لإثناؤه عن دعوته المباركة ولكن دعوة الله سبحانه مضت، تشق طريقها فى المجتمع الجاهلى المتحجر ذاك، فقد انتقلت بعد إبلاغ العشيرة إلى الدعوة العامة، حيث وقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند البيت الحرام، وخاطب الجموع بأنه رسول الله إليها.. [٢٢].

وبعد الدعوة تزايد عدد المؤمنين وأغلبهم من الشباب ومن شتى قطاعات المجتمع المكي..

وكان لتزايد عدد المؤمنين برسالة الله تعالى أثر بالغ على موقف الجاهليين، فقد سلكوا أسلوب الإرهاب للزعيل الأول من المؤمنين، فكانت كل قبيلة وكل بيت يتصدى لمن فيه من المؤمنين بالتعذيب والاضطهاد، [٢٣] والمؤمنون يزدادون صموداً وإيماناً بصوت الحق والهدى، الذى دوى به صوت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرددته النفوس الظمأى إلى الخير والاعتاق..

وبسبب التعذيب الجسدى الوحشى، الذى صب على المؤمنين، كانت هجرة الحبشة التى قادها جعفر بن أبى طالب والذى يكبر علياً (عليه السلام) بعشر سنين، وكان لجعفر وحكمته الأثر الفعال فى إفشال مخطط قريش فى إثارة ملك الحبشة على المهاجرين، لطردهم من بلاده.

أبوطالب يتصدى لأعداء الرسالة

وإذا كانت قريش قد تصدت للسابقين من المؤمنين بالعنف والاضطهاد، فإنها ليست قادرة على التصدى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قائداً الدعوة ورسولها، بنفس المستوى، لعلمها أن أباطالب شيخ الأبطح، يحول دون تحقيق أى لون من ألوان التصدى والإرهاب لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

فأبو طالب، رجل مرهوب الجانب، ذو سطوة ونفوذ، ليس في بني هاشم وحدهم، وإنما في قبائل مكة كلها. وقد كان الرجل سند الدعوة وجدارها الشامخ، الذي تستند إليه منذ تبشير فجرها الزاهر.. وقريش، كانت تدرك ذلك تماماً. ومن أجل ذلك، سلكت أسلوب المفاوضة، والمساومة والإغراء: تفاوض الدعوة والرسالة في شخص الرسول (صلى الله عليه وآله) مرة، وفي شخص أبي طالب مرة أخرى.. فحين كانت تعرض المال والسلطان على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مقابل تركه الدعوة، والتنازل عن الرسالة، فإنها كانت تفاوض أبا طالب، وتحاوره بشأن دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله)، طالبة أن يستعمل نفوذه، بالضغط عليه، لترك رسالته، وتهدهد باحتدام الصراع بينه وبين قريش كلها، إذا لم يخل بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويكف عن إسناده له. بيد أن أبا طالب، كان يعلن إصراره على التزام جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والذود عنه، مهما غلا الثمن، وعظمت التضحيات.

أبو طالب في الحصار مع رسول الله

ولما استبد اليأس بقريش، من أن أبا طالب لن يفرط بمحمد (صلى الله عليه وآله) ودعوته، عقد زعماءها اجتماعاً طارئاً في دار الندوة - وهي دار قصى بن كلاب التي اعتادت قريش أن تجتمع فيها للتشاور في القضايا المصيرية من حياتها. وتوصل المجتمعون إلى قرار، يقضى بحصار بني هاشم، ومن يلوذ بهم، حصاراً اقتصادياً واجتماعياً، ينصب على عدم مبايعة بني هاشم أو الشراء منهم، أو تزويجهم، أو التزوج منهم، وقد ذيل قرار المقاطعة ذلك بأربعين توقيعاً لزعماء قريش... ودخل بنو هاشم شعب أبي طالب، بناء على أوامر من عميدهم أبي طالب ذاته، حماية لأنفسهم من سطوة قريش، وأصبح من المتعذر عليهم الخروج إلى مكة، إلا - في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة من كل عام. وبالنظر لتفاقم الموقف بين بني هاشم وقريش، شدد أبو طالب الحراسة على الشعب، بعد تحصينه، خشية هجوم قريش مباغت. واستمر الحال ببني هاشم بما فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى ابن أبي طالب (عليه السلام) هكذا ثلاث سنين - وقيل أربعاً - وقد عانوا من شظف العيش، والحرمان والفاقة، وما يدمي القلب، ويحز في النفس. ولك أن تقدر حجم ما عانى المحاصرون من ضيق، إذا علمنا أن قريشاً قد شددت عليهم الحصار بشكل كامل، فقطعت عنهم التموين، وكانت غالباً ما تضاعف أثمان البضائع، ليعجز بنو هاشم عن شرائها، بشكل أدى بهم إلى المجاعة الحقيقية، حتى أن صراخ أطفالهم وتضورهم جوعاً كان يسمع من بعيد.

وبعد أن تصرمت السنون الثلاث، بعسرها وآلامها وفاقها، أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمه أبا طالب أن صحيفة المقاطعة التي كتبها قريش قد أتت دودة الأرض على ما فيها من ظلم وقطيعة فأكلتها، إلا عبارة «باسمك اللهم» فأسرع أبو طالب إلى قريش، قائلاً: «.. إن ابن أخي أخبرني أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرض فأكلتها، غير اسم الله، فإن كان صادقاً نزعتم عنه سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم...» [٢٤].

قالوا: قد أنصفتنا.. ثم فتحوها، فإذا هي كما قال.. ووقع نزاع حاسم بين قريش، نتج عنه تمزيق الصحيفة، وانتهاء المقاطعة، ورفع الحصار عن بني هاشم، وقد كان لإفشال مشروع الحصار بذلك الشكل الإعجازي الجلي أثره في كسب الدعوة للمؤمنين، والأنصار في مكة..

أرأيت كم من التضحيات في سبيل رسالة الله، بذل بيت علي (عليه السلام)؟ فإذا كان علي أول من لبي صوت الحق، وظل مجاهداً في الصف الأمامي من الجبهة الإسلامية طوال حياته، فإن أباه قد ضحى حتى بمكانته الاجتماعية التي كان يحظى بها من لدن قريش، وذاق المحن من أجل رسالة الله تعالى، حتى كان بحق الدرع الواقى للرسول (صلى الله عليه وآله)، والدعوة في حين كانت المكانة الاجتماعية: حلم الرجال، ومبتغاهم في ذلك المجتمع القبلي..

وهكذا كان جعفر بن أبي طالب، أخو علي (عليه السلام) الذي دشن حياته الإسلامية بقيادة موكب الهجرة الأولى إلى الحبشة وتوجهاً بالشهادة في غزوة مؤتة.. ففاز بقلب الطيار مع الملائكة في الجنة كما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك.. [٢٥].

ولعظيم حب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لجعفر، إنه حين قدم المدينة المنورة من الحبشة، وذلك يوم فتح خيبر، استقبله الرسول (صلى الله عليه وآله) وقبل ما بين عينيه، وهو يقول (صلى الله عليه وآله): «ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً: بقدوم جعفر؟ أم بفتح خيبر».

[٢٦].

إلى دار الإسلام

.. وفي خضم الصراع العنيف، الناشب بين الدعوة الإلهية المباركة، والجاهلية الرعناء، فجح الإسلام بفقد مؤمن قريش: أبي طالب (رض) فاهتز رسول الله (صلى الله عليه وآله) للحدث الأليم، وعلم أن قريشاً ستعمل على تصعيد حملتها على الدعوة، وعلى شخصه الكريم بالذات..

وإذا كانت قريش تخش أباطالب، ومركزه الاجتماعي، فيما مضى، فقد صفا لها الجو بعد موته، وها هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفقد سنده الشامخ، ويصاب بعده بفاجعة أخرى، لا تقل في تأثيرها عليه عن الأولى، فقد توفيت زوجته الوفيه خديجة، حتى دعا العام الذي فقدهما فيه «عام الحزن».

وللأهمية البالغة، التي يحتلها أبوطالب، في سير الحركة التاريخية لدعوة الله تعالى، صرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله:

«ما زالت قريش كاعه عني حتى مات أبوطالب».. [٢٧].

وصعدت قريش حملتها على رسول الله (صلى الله عليه وآله) والسابقين من المؤمنين، فاتحه رسول الله (صلى الله عليه وآله) للبحث عن أرض غير مكة، تستقر عليها دعوة الله، فتنمو عليها شجرة الهدى، وراح يتصل بالقبائل، ويعرض أمره على الناس في أطراف مكة... ثم زار الطائف، واتصل بزعماء قبائلها، فلم يستجب له أحد ذو أثر اجتماعي، بيد أن اليأس لم يتسرب إلى نفسه، واستمر في عرض نفسه على الناس من خارج مكة، حتى التقى في موسم الحج بنفر من أهل يثرب، وفاتحهم بأمر الدعوة، فاستجابوا له، ولبوا دعوة الله، وعادوا يحملون كلمة الله إلى قومهم.

وفي اليوم التالي قدم منهم اثنا عشر رجلاً فبايعوه على الإيمان وحمل الرسالة، فأرسل لتعليمهم أحكام دين الله تعالى: مصعب ابن عمير، فمكث فيهم سنة كاملة، ويدعوهم إلى الله، ويؤدبهم بتعاليم رسالته، ويقرئهم القرآن الكريم فدخل الكثير من الناس في الإسلام، واستجابوا لنداء الدعوة المباركة..

وفي موسم الحج حضر منهم إلى مكة وفد كبير يقوده مصعب بن عمير، فالتقوا برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبايعوه على النصرة أن هاجر هو إلى بلدهم..

وتنزل أمر الله تعالى يدعو المسلمين إلى الهجرة، فزحفت مواكب المهاجرين صوب الدار الجديدة مخلفين وراءهم المال والوطن وعلاقات الدم والقربى.

ولئن كانت الدعوة قد أوشكت على الدخول في مرحلة جديدة من مراحل مسيرتها العتيده، فإن قريشاً، قد اجتمعت في دار الندوة للتشاور بشأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالذات، فتوصل قاداتها إلى قرار يقضى باغتيال جماعى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) يتولاه من كل قبيلة رجل منها وأن ينفذ الاغتيال ليلاً.

وكشف جبريل (صلى الله عليه وآله) لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أوراق الجريمة التي أجمعت قريش على اقترافها.

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال: ٣٠).

وأبلغ جبريل (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر الله تعالى بالهجرة إلى المدينة المنورة.. وحين انتشر الظلام، أسرع المتآمرون لتطويق بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) للحيلولة دون خروجه.. وعندها جاء دور علي (عليه السلام) حيث أمره رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن ينام على فراشه، ويلتحف ببردته، وخرج صلى الله عليه وآله من بينهم وهو يتلو قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (يس: ٩).

فلم يشاهده أحد من المشركين:

وعند طلوع الفجر اقتحم المتآمرون دار رسول الله (صلى الله عليه وآله) لتنفيذ جريمتهم واتجهوا لغرفته، فوثب علي (عليه السلام) في وجوههم قائلاً: ما شأنكم؟ قالوا: أين محمد؟

قال «أجعلتموني عليه رقيباً؟ أستم قلتم نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم..» [٢٨].

فانقلبوا خاسرين وبأوا بالفشل الذريع... ثم بدا لهم أن يبحثوا عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ويجدوا في طلبه في الجبال والوديان، واصطحبوا لذلك أباكرز، وهو رجل شهير بعلم معرفته الأثر، وبالفعل استطاع أبوكرز أن يتابع أثر الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى أوصل القوم غار جبل «ثور» مؤكداً لهم أن محمداً (صلى الله عليه وآله) قد وصل في نهاية شوطه إلى ذلك الغار، وإذن فلا بد أن يكون قد عرج إلى السماء أو اختفى تحت الأرض، وحيث أن الله سبحانه قد بعث عنكبوتاً فنسجت بيتاً لها على باب الغار، فإن المتآمرين لم يخطر ببالهم أن الرسول (صلى الله عليه وآله) في داخل الغار الذي يقفون على بابه، وهكذا صرف الله عقولهم فولوا الأدبار..

وعند حلول الليلة الثانية أسرع علي (عليه السلام) وهند بن أبي هالة إلى الغار للاتصال بالرسول (صلى الله عليه وآله) تحت جنح الظلام [٢٩] وتجاوز رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع علي (عليه السلام) حول مستلزمات الهجرة.. فأوصاه بأداء الأمانات إلى أهلها، وباللحوق به (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك وأوصاه أن يحمل معه فاطمة الزهراء (صلى الله عليه وآله) ومن معها من نساء أهل البيت..

الانتظار في قبا

وبعد أيام من مسيرة الركب وصل الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى «قبا» حيث نزل عند كلثوم بن الهمد أحد زعماء بني عمرو بن عوف [٣٠] وهناك أقام الرسول (صلى الله عليه وآله) مسجد قبا، ومكث ينتظر قدوم علي بن أبي طالب (عليه السلام). [٣١]. إذ كتب إليه كتاباً يأمره بالمسير إليه، وقد حمل الكتاب أبووافد الليثي، وحيث أن علياً (عليه السلام) قد أدى ما أوصاه به رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل هجرته وأعاد الأمانات التي كانت لدى الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى أهلها، فقد عجل باللحوق بأخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبادر إلى إعداد ركائب لحمل النساء فاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب.

ثم أمر ضعاف المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى وخرج هو والفواطم وأيمن وأبووافد الليثي نهراً. [٣٢].

ولم تمض غير أيام قليلة حتى وصل ركب علي والفواطم إلى قبا، فاستقبلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعانق علياً (صلى الله عليه وآله) وبكى رحمه به - وذلك لما ألم به من إرهاب وأذى.

وبعد مقدم علي (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيومين ارتحل الرسول (صلى الله عليه وآله) وبصحبه علي (عليه السلام) ومن معه من المهاجرين إلى المدينة المنورة..

وكان الركب النبوي يستقبل استقبالاً مهيباً عند كل حي يمر به.. حتى إذا وصل الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المكان الذي أقيم

مسجده فيه توقفت راحلته عن المسير فنزل عنها، وأقام ضيفاً عند أيوب الأنصاري (ره).. ثم بادر إلى بناء المسجد والدور الخاصة به وبأهل بيته، وفي طليعتهم على (عليه السلام) إذ أقيمت حجرته بجانب حجره عائشة.

مهمات ما بعد الهجرة

اشاره

استقبلت المدينة عهداً جديداً من تاريخها بوصول رسول الله (صلى الله عليه وآله) إليها حتى أرسى (صلى الله عليه وآله) قواعد دولة القرآن، وعمل على تحصينها لتكون مناراً يشع نور الحق إلى الآفاق فيبديد ظلام الجاهلية الحالكة.. وإذا كانت الدعوة بعد الهجرة قد امتلكت دولة وفرت لها الكثير من شروط الحماية والتحصين، فإن ذلك لا يعنى بحال أن مكر الأعداء وخططهم لإطفاء نور الإسلام قد انتهى بل العكس هو الذى كان، فالجاهلية بقواها المتعددة وواجهاتها الكثيرة قد أجمعت على حرب الإسلام ودولة الإسلام، وقد دخلت فصائل كثيرة إلى الميدان لغير صالح الإسلام، بعد أن أدركت عملياً أن وجودها فى خطر بعد امتلاك الإسلام الدولة التى ترعاه ويحقق أهدافه من خلالها.. وهكذا كانت مرحلة ما بعد الهجرة قد وضعت المسلمين أمام مسؤوليات أشمل ميداناً وأبعد خطراً، حيث بناء الدولة وحمايتها وبناء المجتمع وترصينه، وصد الأعداء ونشر العقيدة وغير ذلك.. والصراع بطبيعته قد تحول بدوره من صراع أفراد أو إرهاب قبائل، وأصحاب وجاهات لأفراد عزل لا يملكون غير دينهم وثقتهم بالله تعالى.. إلى صراع عسكرى منظم بين قوى جمعتها المصالح والأهواء ولو آنياً لحرب الإسلام العظيم باعتباره - وبتقديرهم - الخطر الماحق لوجودهم الفكرى والعملى.. وقد تفجر الصراع العسكرى بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلاً.

وحسبك أن دولة القرآن قد شهدت عبر عشر سنوات عاشها الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد هجرته إلى المدينة عشرات من الأعمال العسكرية بين حروب دفاعية أو هجومية أو غزوات أو سرايا أو غيرها.. قدم المسلمون خلالها الكثير من الضحايا ولاقوا صنوفاً من البلاء بيد أنهم أنهوا الوجود العملى للجاهلية العربية.. فشملت دولة الإسلام الجزيرة العربية دون منازع.. وإذا تتبعنا تلك المرحلة الدقيقة من عمر الرسالة الخاتمة لوجدنا أن دور على بن أبى طالب (عليه السلام) فيها لم يرق إليه دور قط.. فهو فى جميع حروب الإسلام مع أعدائه كان يفوز بقصب السبق لا من باب اشتراكه فى الحرب أو قتاله فيها، وإنما بما قدمه من بطولة وتضحية يسبق بها سواه ومن المناسب هنا أن نذكر طرفاً من بطولته (عليه السلام):

باس فى الحرب

فى معركة بدر

كان عدد المسلمين يساوى ثلث جيش عدوهم وكانت العدة لدى المسلمين ليست ذات بال فعلى سبيل المثال كانوا لقله ركائبهم يركب منهم الاثنان والثلاثة والأربعة على بغير واحد، ولم يكن منهم فارس غير المقداد بن الأسود الكندى، وكانت أسلحة بعضهم من جريد النخل ونحوه..

حتى إذا اضطرت نار الفتنة تقدم على (عليه السلام) وكان يحمل لواء الرسول (صلى الله عليه وآله) [٣٣] فخاض غمار معركة حامية غير متكافئة، كان المسلمون خلالها يستغيثون ربهم طلباً للنصر فاستجاب لهم وأمدهم بالملائكة، وقد انتهت المعركة بمقتل سبعين رجلاً من المشركين كان مقتل حوالى نصف عددهم بسيف على [٣٤].

و في معركة أحد

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أعطى لواء المهاجرين لعلي (عليه السلام) ولما اشتبك الطرفان كان النصر ابتداءً للمسلمين، بيد أن حماء جبل أحد الذين أمرهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بعدم مفارقتة تركوا أماكنهم بعد فرار المشركين بدافع الطمع في الغنائم، فصعدت إحدى فرق المشركين بقيادة خالد بن الوليد الجبل فتغير الموقف لصالح المشركين فخسر المسلمون الكثير من الشهداء.. وأصيب الرسول (صلى الله عليه وآله) بجروح في وجهه الكريم وكسرت رباعيته وحيث لم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذلك الموقف الرهيب بعد فرار المسلمين غير علي (عليه السلام) وأبي دجانة وسهل بن حنيف استبسل علي (عليه السلام) كعادته في الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومجد الرسالة الإلهية، وقتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد الآخر، وكانوا تسعة رجال ثمانية من بني عبدالدار وتسعة منهم عبداهم. [٣٥] مما أربك العدو واضطره للفرار.

و في غزوة الأحزاب

طوقت المدينة بعشرة آلاف من المشركين بشتى فضائلهم، ونقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانضموا إلى صفوف الغزاة، فتغير ميزان القوى لصالح العدو، وبلغ الذعر في نفوس المسلمين أيما مبلغ، فقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزلت نفوس وظنت نفوس بالله الظنوننا - كما حدثنا القرآن - [٣٦].

وبدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبدود العامري أحد أبطال الشرك الخندق مع بعض رجاله، فهددوا المسلمين في داخل المدينة بل في داخل تحصيناتهم.. وراح بن عبدود يصول ويجول، ويتوعد المسلمين ويتفاخر عليهم بطولته، ويستعلى وينادي:

هل من مبارز؟

فقام علي (علي) وقال: أنا له يا رسول الله.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجلس إنه عمرو!

وكرر ابن عبدود النداء وجعل يوبخ المسلمين، ويسخر بهم يقول: أين جنتكم التي تزعمون، أن من قتل منكم يدخلها، أفلا تبرزون لي رجلاً؟

ولما لم يجبه أحد من المسلمين، كرر علي (علي) طلبه: أنا له يا رسول الله.

فقال (صلى الله عليه وآله): اجلس إنه عمرو!

فأبدى علي عدم اكترائه بعمرو وغيره، قائلاً: وإن كان عمرو!!

فأذن رسول الله لعلي (عليه السلام) وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه، وعممه بعمامته..

ثم قال (صلى الله عليه وآله) «اللهم هذا أخي وابن عمي، فلا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين». [٣٧].

ومضى علي (عليه السلام) إلى الميدان، وخاطب ابن عبدود بقوله: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله، أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا قبلتها..

قال عمرو: أجل.

فقال علي (عليه السلام) فإني أدعوك إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وإلى الإسلام.

فقال: لا حاجة لي بذلك.

قال له الإمام: فإني أدعوك إلى البراز.

فقال عمرو: إنني أكره أن أهرق دمك، وإن أباك كان صديقاً لي..

فرد عليه الإمام (عليه السلام) قائلاً: لكنى والله أحب أن أقتلك، فغضب عمرو، وبدأ الهجوم على علي (عليه السلام) فصده الإمام برباطة جأشه المعتاد، وأرداه قتيلاً، فعلا التكبير، والتهليل فى صفوف المسلمين.. [٣٨].

ولما عاد الإمام (عليه السلام) ظافراً استقبله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول «لمبارزة على بن أبى طالب لعمرو بن عبدود، أفضل من عمل أمتى إلى يوم القيامة». [٣٩].

وبعد مقتل ابن عبدود بادر على (عليه السلام) إلى سد الثغرة التى عبر منها عمرو ورجاله الخندق ورابط عندها [٤٠] مزعماً القضاء على كل من تسول له نفسه العبور، ولولا ذلك الموقف البطولى لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين، بذلك العدد الهائل. وهكذا كانت بطولته على (عليه السلام) فى غزوة الأحزاب أهم عناصر النصر للمعسكر الإسلامى، وانهزام المشركين.

وفى غزوة خيبر

عجز عليه القوم عن الصمود أمام اليهود، ولما بأن ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى تأخر فتحها أياماً قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراماً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه..». [٤١].

ولما كان الغد أعطاهما علياً فاقتحم حصون خيبر ودخلها عليهم عنوة، وقتل بطلهم مرحباً ثم فتح الحصون جميعاً..

غزوة حنين

فرّ المسلمون فلم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير على (عليه السلام). [٤٢].
والعباس وبعض أهل البيت (عليهم السلام) فكان النصر بعد عودة المسلمين لميدان القتال.. وكان الظفر..
هذه صور يسيرة من مواقف الصمود التى سجلها الإمام على (عليه السلام) بين يدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) القائد فى أدق الساعات وأكثرها حرجاً. [٤٣].

ومن نافلة القول أن نعيد إلى الأذهان أن علياً (عليه السلام) قد اشترك فى حروب رسول الله جميعاً غير تبوك [٤٤] وذلك بأمر من الرسول (صلى الله عليه وآله) بذاته، وكان له فى جميعها القدح المعلى، هذا عدا الغزوات التى قادها بنفسه عليه السلام.
والباحث المنصف حين يتناول حياة الإمام على (عليه السلام) بالدراسة وفى شطرها الجهادى بالذات يقف مذهولاً أمام بطولته الفريدة وتضحياته المعطاءة، لكن البطولة بما هى بطولة ليست هى الميزة فى جهاد على (عليه السلام) وإن كان ميدانها الواسع وشمولها يبقى سمة من سمات على ولكن الأهم فيها إنما هو الإخلاص لله تعالى والتضحية فى سبيله.
فإيمان على (عليه السلام) بالله تعالى يبقى هو الحافز والمحرك لتلك البطولات العظيمة التى سجلها تاريخ الإسلام فى أنصع صفحاته بشكل لم يسجل مثلها سواه.

وحسبك فى ذلك أن كثيراً من المواقف العسكرية - كما رأينا - يعترض فيها عليه القوم فضلاً عن عامتهم للهون بل والهزيمة النكراء غير أن التاريخ لم يسجل لعلى (عليه السلام) إلا الصمود والفداء والتضحية فى كل موقف، صمد الناس فيه أم انهزموا، الأمر الذى لا يفسره إلا ما يتمتع به على (عليه السلام) من صدق اليقين وعمق الاستعانة والتوكل على الله والعبودية له واللامبالاة بما سواه كبر ذلك أم صغر.

هذا عدا ما يتمتع به على (عليه السلام) من علو الهممة وقوة العزيمة ورباطة الجأش وسمو النفس.

على فى منظار الإسلام

اشاره

لم يحظ رجل في الإسلام ما حظى به علي بن أبي طالب (عليه السلام) من ثناء وإجلال من لدن الرسالة الإسلامية، وحثها المتزايد لاتباعها لا على تقديره فحسب، وإنما على التزامه، وانتهاج سبيله.

وقد انطوى القرآن الكريم والسنة الشريفة والتاريخ الصحيح على نصوص وروايات تنطق كلها بالثناء على علي (عليه السلام). فمرة تأتي كأوسمة يضعها الإسلام على صدره فيميزه.

ومرة على شكل أحكام وأوامر تلزم المسلمين على التزام علي (صلى الله عليه وآله) إماماً ومنهجاً. فمن أوسمة التقدير التي نالها علي (عليه السلام) من الله تعالى ومن رسوله (صلى الله عليه وآله). نذكر ما يلي:

١- (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (الأحزاب: ٣٣).

وذهب المفسرون لهذه الآية أنها نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى وفاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام) حين دعا الرسول (صلى الله عليه وآله) بعبادة وجللهم بها، ولها نزلت الآية قالت أم سلمة زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله): هل أنا من أهل بيتك؟

قال: لا ولكنك علي خير. [٤٥].

٢- (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران: ٦١).

ذكر أهل التفسير من جميع المسلمين أنها نزلت حين خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لمباهلة نصارى نجران، فلما رآه النصارى قد خرج بأهل بيته خافوا العاقبة واعتذروا عن مباہلته، فدفعوا الجزية خضوعاً منهم لسلطان دولته (صلى الله عليه وآله). [٤٦].

٣- (وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا- إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا- إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَنَّا قُمْطَرِيرًا- فَوَقَّيْهِمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَفَّيْهِمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا) (الدهر: ١١-٨).

وهذه بإجماع أهل التفسير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام).

وكان ذلك عندما مرض الحسنان فنذر علي (عليه السلام) وفاطمة وفضة إن شفى الحسنان، فإن علياً والزهراء وفضة يصومون لله تعالى ثلاثة أيام.

وبعد شفاء الحسنين صام أهل البيت (عليهم السلام).

وعند غروب شمس اليوم الأول طرق الباب عليهم مسكين يشكو جوعه، فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير.

وفى اليوم الثانى استطعمهم يتيم فأطعموه..

وفى ثالث أيام النذر سألهم أسير فقدّموا له طعامهم وهكذا بقى أهل البيت (عليهم السلام) ثلاثة أيام لم يذوقوا فيها غير الماء، فأنزل الله فيهم هذه الآيات الكريمة إعظاماً لشأنهم وإكباراً لعملهم [٤٧] ليكونوا القدوة وليكونوا المثال.

٤- (أَجْعَلْتُمْ سَبَقَاتِي الْخِجَابِ وَعِمَارَةَ الْمَشْرِجِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَشَتُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة: ١٩).

نزلت هذه الآية عندما تفاخر طلحة بن شيبه والعباس بن عبدالمطلب: إذ قال طلحة: أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدى!

وقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليها وفى هذه الأثناء مرّ عليّ بهما وسألهما: بم يفتخران. فذكرا له مقالا.

فقال علي (عليه السلام): أنا أوتيت منذ صغرى ما لم تأتيا.

فقالا وما ذاك؟

فقال (عليه السلام): لقد صليت قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى الآية المذكورة في الثناء على ما افتخر به على (عليه السلام). [٤٨].

وإذا كان القرآن الكريم ينثي هذا الثناء الجميل على علي (عليه السلام) فتعال معي إلى السنة الشريفة لنقرأ شيئاً منها في هذا الصدد:

١- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا مدينة العلم وعلى بابها. [٤٩].

٢- وقال (صلى الله عليه وآله): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني ببعدي». [٥٠].

٣- وقال (صلى الله عليه وآله): مخاطباً علياً (عليه السلام) «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق». [٥١].

٤- وقال (صلى الله عليه وآله) يوم المواخاة- بين المهاجرين والأنصار مخاطباً علياً (عليه السلام): «أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل أنا عبدالله وأخو رسوله لا يدعيهما بعدك إلا كذاب». [٥٢].

هذه طائفة من النصوص الخاصة بالثناء على علي (عليه السلام) ومن شاء المزيد فليراجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة وينابيع المودة ومسند أحمد بن حنبل وفضائل أمير المؤمنين وأمانته من دلائل الصدق وغيرها.

أما النصوص القاضية بوجوب التزام علي (عليه السلام) إماماً وقائداً في دنيا المسلمين فنذكر منها ما يلي:

من فضائل الإمام علي

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: ٦٥).

قال المفسرون إن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) [٥٣] فأكدت وجوب الالتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً واجتماعياً وسياسياً للأمة، وقد كان سبب نزولها حين تصدق علي (عليه السلام) على مسكين بخاتمه أثناء ركوعه، فالآية إنما نزلت بهذا الصدد وهي تؤكد في ذات الوقت إمامة علي (عليه السلام).

خطبة الغدير

وهي البيان الذي وجهه الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المسلمين في غدير خم في آخر حجة له لبيت الله، فعن البراء بن عازب قال: «أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر: الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي فقال: «أأستأولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): أأستأولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): «فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه» [٥٤] وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

قال (من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». [٥٥].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «على مع الحق والحق مع على لن يفترقا حتى يردا على الحوض». [٥٦].

وفي حديث آخر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) يخاطب به عمار بن ياسر (ره) جاء فيه «.. وإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فأسلك وادياً سلكه علي وخل الناس طراً..». [٥٧].

وقال (صلى الله عليه وآله):

«لكل نبي وصى ووارث وأن علياً وصى ووارثي». [٥٨].

هذا غيظ من فيض من النصوص الإسلامية الموثوقة المجمع على صحتها، ووثاقتها من جميع المسلمين. [٥٩].

علي في عهد الخلفاء..

اشاره

فاضت نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجر علي (عليه السلام) [٦٠] ورحل (صلى الله عليه وآله) إلى ربه الأعلى، وهو قلق على مستقبل الرسالة والأمة، كما يجسد ذلك بقوة قوله (صلى الله عليه وآله) عند زيارته لقبور المؤمنين في البقيع في بداية مرضه الذي قضى فيه «السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه، مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها..» [٦١].

وتأكيد المستمر على ضرورة التزام الثقلين: كتاب الله تعالى والعترة الطاهرة. [٦٢].

وطلبه في آخر ساعة من حياته أن يؤتى بدواة وكتف ليكتب للأمة كتاباً لن تضل بعده أبداً. [٦٣].

إلى غير ذلك من مصاديق توجسه وقلقه (صلى الله عليه وآله) على مستقبل المسيرة الإسلامية، بالرغم من احتياطة لتحسين الأمة وتجنبها من الوقوع في الفتنة.

وما أن فاضت نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) واشتغل علي (عليه السلام) وأهل البيت بتجهيزه من أجل مواراة جسده الطاهر في مثواه الأخير، حتى عقدت الأنصار وبعض المهاجرين اجتماعاً في سقيفة بني ساعدة لتنصيب من يخلف النبي (صلى الله عليه وآله) في قيادة المسلمين.

وبعد مناقشات حادة وطويلة سادها جو من التوتر والقلق والعنف والخلاف بادر عمر بن الخطاب إلى بيعه أبي بكر بالخلافة [٦٤] وطلب من الحاضرين ذلك، ولم يكن علي (عليه السلام) على علم بما حدث، ولكن النبأ قد انساب إلى مسامعه من خلال الضجيج الذي أحدثه خروج القوم من السقيفة، وهم في طريق توجيههم للمسجد النبوي.

وحتى تلك الساعة مازال علي وأهل البيت (عليه السلام) مشغولين بتجهيز فقيده الأمة العظيم رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ ظل (صلى الله عليه وآله) جثمانه الطاهر ثلاثة أيام [٦٥] دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه والصلاة عليه.

ولعدم قناعة الإمام (عليه السلام) بما جرى ظل مؤمناً بحقه في الخلافة واعتزل الناس، وما هم فيه ستة شهور، ولم يسمع له صوت في ما يسمى بحروب الردة ولا سواها. [٦٦].

ولقد استجرت أمور وأحداث خطيرة تتهدد الإسلام وأمته بالفناء، فقد قوى أمر المتنبئين بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) واشتد خطرهم في الجزيرة العربية من أمثال: مسيلمة الكذاب، وطلحة ابن خويلد الأفاك وسجاح بنت الحرث الدجاله وغيرهم وصار وجودهم يشكل خطراً حقيقياً على الدولة الإسلامية.

واشتد ساعد المنافقين وقويت شوكتهم في داخل المدينة وكان الرومان والفرس للمسلمين بالمرصاد. [٦٧].

هذا عدا ظهور التكتلات السياسية في المجتمع الإسلامي على أثر بيعه السقيفة.

ولقد تعامل الإمام (عليه السلام) مع الخلافة حسب ما تحكم به المصلحة الإسلامية حفظاً للإسلام وحماية للجامعة الإسلامية من التمزق والضياع، وتحقيقاً للمصالح العليا الإسلامية التي جاهد من أجلها.

وللإمام علي (عليه السلام) كتاب جاء فيه - بهذا الصدد - ما نصه «.. فأمسكت يدي حتى رأيت راجعاً الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به

علی أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهه». [٦٨].

بيد أن صوت علي (عليه السلام) كان يعلو عندما يستشار ويجهر عندما يستفتي، وقد تصدى - في هذا المضمار - لتوجيه الحياة الإسلامية، وفقاً لما تقتضيه رسالته الله تعالى في الحقول التشريعية والتنفيذية والقضائية.

ومن أجل ذلك فإن الباحث التاريخي في حياة الإمام (عليه السلام) لا يلبث إلا أن يلتقي مع مئات المواقف والأحداث - في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان التي لا تجد غير علي (عليه السلام) مدبراً لها ومعالجاً وقاضياً بأمر الشريعة فيها.

والخلفاء الثلاثة لم يروا بدءاً من استشارته إذا التبت عليهم الأمور، وهكذا تجده - مرة - مرشداً إلى الحكم الإسلامي الصحيح في أمر ما ومرة تجده قاضياً في شأن من شؤون الأمة، وأخرى موجهاً للحاكم الوجهة التي تحقق المصلحة الإسلامية العليا.

وبمقدورنا أن نلمس دوره الرسالي ذلك إذا طرحنا بعض مفردات منهجه المتنبى أيام الخلفاء الذين سبقوه.

في خلافة أبي بكر

١- فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعته من الصحابة فقدموا وأخروا، ولم يقطعوا برأى، فاستشار علياً (عليه السلام) في الأمر فقال (عليه السلام) إن فعلت ظفرت.

فقال أبو بكر: بشرت بخير. وأمر الناس بالخروج بعد أن أمر عليهم خالد بن سعيد. [٦٩].

٢- أراد أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر...

فقال الرجل: إنني شربتها ولا علم لي بتحريمها فأرسل إلى الإمام يسأله عن ذلك فقال (عليه السلام): «مُر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين والأنصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه، وإن لم يشهد أحد بذلك، فاستبته وخلّ سبيله».

ففعل الخليفة ذلك، فعلم صدق الرجل فخلّى سبيله. [٧٠].

٣- عن محمد المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى الخليفة أبي بكر أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب، ينكح كما تنكح المرأة، وأن أبا بكر جمع لذلك ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان فيهم علي بن أبي طالب أشدهم يومئذ قولاً، فقال:

إن هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة - يعني قوم لوطج فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقوه بالنار، فكتب أبو بكر بذلك إلى ابن الوليد. [٧١].

٤- قدم جاثليق النصارى يصحبه مائة من قومه فسأل أبا بكر أسئلة، فدعا علياً (عليه السلام) فأجابه عنها، ونكتفى منها بسؤال واحد من أسئلة الجاثليق: -

أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى!

فدعا علي (عليه السلام) بنار وخطب، وأضرمه، فلما اشتعلت قال أين وجه هذه النار؟

قال الجاثليق: هي وجه مع جميع حدودها.

فقال علي (عليه السلام): هذه النار مدبرة مصنوعة، لا يعرف وجهها وخالقها ولا يشبهها، والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله لا تخفى على ربنا خافية. [٧٢].

٥- وأرسل ملك الروم رسولاً إلى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله، ولا يركع ولا يسجد ويأكل الميتة والدم، ويشهد بما لم ير ويحب الفتنة ويبغض الحق، فأخبر بذلك علياً (عليه السلام) فقال:

هذا رجل من أولياء الله: لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه، وإنما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويحب المال والولد (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما، ويكره الموت وهو حق. [٧٣].

هذه بعض مصاديق اهتماماته بمسيرة الإسلام التاريخية في عهد أبي بكر.

في خلافة عمر بن الخطاب

١- حين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الإمام (عليه السلام) في الأمر، فنصحه الإمام ألا يقود الجيش بنفسه مبيناً علته ذلك قائلاً: «.. فابعث إليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رداءً للناس، ومثابةً للمسلمين». [٧٤].

٢- ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير - من البحرين - فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتاهم بأمره قائلاً: ما ترون في فضل، فضل عندنا من هذا المال؟ قالوا: يا أمير المؤمنين إنا شغلناك بولاية أمورنا من أهلك وتجارتك، وضيعتك، فهو لك. فالتفت عمر إلى علي قائلاً: ما تقول أنت؟ قال الإمام (عليه السلام): قد أشاروا عليك. قال الخليفة: فقل أنت؟

قال (عليه السلام): لِمَ تجعل يمينك ظناً، ثم حدثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله). وأخيراً أشار عليه الإمام (عليه السلام) بتوزيعه على الفقراء، قائلاً: «أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضيه على فقراء المسلمين». فقال عمر: صدقت والله. [٧٥].

٣- «عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول أن نرك هذا المال في جوف الكعبة لأخذه وأقسمه في سبيل الله وفي سبيل الخير وعلى بن أبي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر: ما تقول يا ابن أبي طالب بالله لئن شجعتني عليه لأفعلن؟ فقال علي: أتجعله فينا، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان [٧٦] فاقنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلى الكعبة.

٤- بعث أبو عبيدة بن الجراح وبرة بن رومان الكلبي إلى عمر بن الخطاب: إن الناس قد تتابعوا في شرب الخمر بالشام، وقد ضربت أربعين ولا أراها تغني عنهم شيئاً، فاستشار عمر الناس.. فقال علي (عليه السلام): أرى أن تجعلها بمنزلة حد القذف «ثمانون جلدة».

إن الرجل إذا شرب هذى، وإذا هذى افتري. فجعلها عمر بالمدينة، وكتب إلى أبي عبيدة.. فجعلها بالشام. [٧٧].

٥- وقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة، فلما أصبح قال للناس: أرايتم أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة. فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنما أنت إمام.

فقال علي ابن أبي طالب: «ليس ذاك لك، إذن يقام عليك الحد، إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء» ثم إن عمر ترك الناس ما شاء الله، ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالته الأولى.. وقال علي (عليه السلام) مثل مقالته. فأخذ عمر بقول الإمام. [٧٨].

٦- عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب سأل الناس قائلاً: كم يتزوج المملوك؟ وقال لعلني: إياك أعني يا صاحب المعافى - رداء كان

عليه-.

فقال الإمام (عليه السلام) اثنتين. [٧٩].

٧- بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: اكتب إلى أمير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتثل، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر، فلما قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالأمر.

فقال علي (عليه السلام): من صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فإذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلى قيسارية، فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى، كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عمر: صدق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وصدقت أنت يا أبا الحسن.. ثم كتب إلى أبي عبيدة بالذي أشار به علي (عليه السلام). [٨٠].

٨- بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور ابن الخطاب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سواد الكوفة.. فقال بعضهم: تقسمها بيننا، ثم شاور علياً (عليه السلام) في الأمر.

فقال إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرأها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا فقال عمر لعلي: وفقك الله ... هذا الرأي. [٨١].

٩- عن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب. قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟..

فقال علي (عليه السلام): من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وترك أرض الشرك، ففعله عمر، [٨٢] وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

هذه بعض ملامح دور الإمام علي (عليه السلام) الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

في عهد عثمان

١- تزوج شيخ كبير بكرةً فحملت، فادعى الرجل أنه لم يصل إليها، فسأل عثمان المرأة: هل افتضك الشيخ؟ قالت: لا فأمر بإقامة الحد عليها.

فقال الإمام (عليه السلام): إن للمرأة سمين: سم الحيض وسم البول، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم الحيض، فحملت منه. فقال الرجل: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالافتضاض.

فقال الإمام علي (عليه السلام): «الحمل له، والولد له، وأرى عقوبته على الإنكار له». [٨٣].

٢- عن موطأ مالك عن بعجة بن بدر الجهني: أنه أتى -عثمان- بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهم برجمها فقال علي (عليه السلام): إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» ثم قال «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة».

فحولان مدة الرضاعة وستة أشهر مدة الحمل.

فقال عثمان: ردوها. [٨٤].

خاتمة

هذه أمثلة يسيرة مما كان ينهض الإمام علي (عليه السلام) به من مسؤوليات عظيمة في عهد الخلفاء، وكان دافعه في ذلك الإخلاص للرسالة وحفظ الوحدة الإسلامية وحماية المسيرة الإسلامية من الانحراف.

ولقد تنبه الخليفة الثاني إلى أهمية ما يقوم به على (عليه السلام) في هذا المضمار، فصرح مراراً مشيداً بذلك الفضل، ومنوهاً بأهميته في مسيرة الخلافة كقوله: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن»، [٨٥] وغير ذلك.

دعوني والتمسوا غيري

مقدمة

.. في هذا الجزء من دراستنا لحياة أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام)، ينصب البحث على دراسة أدق المراحل، التي عاشها الإمام (عليه السلام)، بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله):

وهي مرحلة اضطلعه، بمسؤولية القيادة المباشرة للأمة الإسلامية، في جميع شؤونها الحياتية.

فقد اتسمت هذه المرحلة بأحداث غاية في الأهمية، على الصعيد الفكري، والاجتماعي، والسياسي، كما سنرى.

والتاريخ الإسلامي، قد شهد عبر السنوات الخمس التي قضاها على (عليه السلام) حاكماً للمسلمين، لوتين من الأحداث:

أحدهما: يتعلق بما سجله الإمام (عليه السلام) على صفحات التاريخ الإنساني، من القيم الرفيعة، التي اتسمت بها سياسته الفاضلة، التي بناها من أجل وضع حدود الله تعالى، وشريعته العظيمة، موضع التنفيذ، كاملة لا نقص فيها، ولا تحايل عليها، ولا تفريط، ولا أنصاف حلول، وعلى شتى الأصعدة الحياتية..

وثانيهما: ما يتعلق بردود الفعل السياسية التي قام بها بعض الناس والتي سجلها التاريخ الإسلامي.

وفى هذه الدراسة التي بين يديك - أيها القارئ العزيز - ستقرأ شطراً من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو يعيد لجهاز الدولة مسؤولياته الحقيقية، في حماية رسالة الله تعالى، وإقامة حدودها في الحياة، والعمل على كل ما من شأنه توفير السعادة للإنسان، وبناء شخصيته وتحسينها..

وتقرأ عن على (عليه السلام) كذلك، دوره في التصدي، سواء للذين نكثوا أو مرقوا أو قسطوا..

ومن خلال هذا الشطر من حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ستقرأ شواهد من بنود عدالته الاجتماعية، التي جسدها في الواقع الاجتماعي، ومواقفه الإنسانية وشدة تمسكه بشريعة الله تبارك وتعالى.

والأمر الذي نسأل الله تعالى أن يوفق أمتنا الإسلامية للأخذ به، في حياتها العملية، هو الالتزام الكامل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، كما جسدهما عملاً الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام).

الامام الخليفة

اشاره

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان أجمعت الأمة على بيعه الإمام على (عليه السلام) خليفة لها، وقد اجتاحت النفوس موجة من العاطفة نحوه، ولكنه رد الأمة بقوله: «.. دعوني والتمسوا غيري». [٨٦].

إن علياً أبي أن يكون أسيراً للعاطفة، فلعل نعمة بعض الناس على عثمان هي التي أججت نحوه العاطفة وشدت إليه التيار، وهو يريد من الأمة إقراراً إرادياً لإمامته...

ثم أن علياً ليس ممن تغريه المناصب وتستهويه الكراسي حتى يستجيب فور إقبال الناس عليه، فإن المرأة كلها لا تساوى لديه جناح بعوضة. بل الدنيا كلها عنده كعقطة عنز - على حد تعبير له - والقيادة لا تساوى عنده شيئاً مذكوراً، إن لم يقيم من خلالها الحق ويبطل الباطل.

ولهذا لم يستجب لضغط الجمهور في بادئ الأمر، قبل وضعهم أمام اختبار ليتأكد من مدى قدرة الناس على تلقي مناهجه والاستجابة لخطته إذا تسلم زمام الأمر.

فبالرغم من أن العاصمة المقدسة «المدينة المنورة» قد أضرت على اختياره على شكل تظاهرات حقيقية وتجمعات مكثفة حتى صارت المطالبة بقيادته إجماعية ولا جماعية، فإنه (عليه السلام) بقى عند موقفه المترث، بيد أن إصرار الأمة على بيعته جعلته يطرح عليها شروطه لقبول الخلافة، فإن بايعته الأمة وفقاً لما يملئ من شروط استجاب هو لمطلبها في استخلافه...

وحين أذاع بيانه المتضمن لشروطه «.. واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب...» [٨٧]. سارعت الأمة مدعنة لشروطه، ومدت يد البيعة على الطاعة إليه، فلبى مطلبها ليواجه مسؤولياته القيادة في الأمة الإسلامية على الصعيد الفكري والعمل...

وقد كانت من أولى مهامه (عليه السلام) أن يزيل صور الانحراف التي طرأت على الحياة الإسلامية، وأن يعود بالأمة إلى أصالة المنهج الإلهي.

ومن أجل ذلك كان لابد أن يسير وفق منهاج محدد وشامل يلزم ولائه بتطبيقه... وقد انصب منهاج حكومته على مواجهة المشاكل في الميادين الآتية.

الميدان السياسي

لقد حدد الإمام (عليه السلام) مواصفات ولاية الأمر وموظفي الدولة الذين يرشحهم الإسلام لإدارة شؤون الأمة الإسلامية بيان أصدره (عليه السلام) جاء فيه:

«... أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمة، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ مآ دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة...» [٨٨].

في ضوء هذا التحديد الموضوعي لصفات كادر الموظفين الذين يقرهم الإسلام عمدة الإمام على (عليه السلام) إلى الاستغناء عن خدمات قسم من الولاة الذين كانوا يتولون أقاليم الدولة الإسلامية.. لأن علياً (عليه السلام) لو ساوم -كما يريد بعض المؤرخين- لتعذر على الأجيال المسلمة التماس الصورة الحقيقية للشريعة التي أبعث الله بها رسوله العظيم صلى الله عليه وآله وسلم.

الميدان الاقتصادي

كما عمد الإمام على (عليه السلام) إلى إصلاح الوضع السياسي والإداري كذلك فعل بالنسبة للوضع الاقتصادي فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور مباشرة إلى إلغاء طريقة توزيع المال التي اعتمدت فيما سبق.

فقد استبدل الإمام طريقة التمييز في العطاء بطريقة المساواة في التوزيع التي مارسها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فألغى الإمام (عليه السلام) كل أشكال التمييز في توزيع المال على الناس، مؤكداً أن التقوى والسابقة في الإسلام والجهاد، والصحة للرسول (صلى الله عليه وآله) أمور لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا، وإنما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة، ومن كان له قدم في ذلك، فالله تعالى يتولى جزاءه، أما في هذه الدنيا فإن الناس سواسية في الحقوق المالية وأمام القضاء الإسلامي وفي الواجبات والتكاليف.

وقد تضمن بيانه التالي هذه الأفكار الجليئة العادلة: «ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل التير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله..»

وأما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتناً ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار...» [٨٩].

وهكذا جسد الإمام (عليه السلام) مفهوم التسوية في العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الإسلامية دون تمييز لأي سبب من الأسباب.

هذه بعض ملامح العملية الإصلاحية التي قادها الإمام علي (عليه السلام) في شتى مرافق الحياة الإسلامية، في المال والحكم والإدارة وسواها.

منهاج الإصلاح

إشاره

وضع الإمام (عليه السلام) خطته الإصلاحية الشاملة، وقد انصب جل اهتمام الإمام (عليه السلام) على إصلاح شؤون الإدارة والاقتصاد والحكم كما قدمنا.

ومن خلال ذلك العمل الإصلاحي الكبير حظيت الأمة عبر مسيرتها الجديدة التي اختطتها لها أمير المؤمنين (عليه السلام)، بمعطيات جمّة ذات مردودات عظيمة لصالح الأمة والمسيرة بشكل عام، نذكر منها ما يلي:

أولاً: استعانة الإمام (عليه السلام) بجهاز من الولاة والموظفين لإدارة دفة الحياة الإسلامية يعدّ أفراداً نموذجاً في مستواهم الروحي والفكري والالتزامي: كعثمان بن حنيف، ومحمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر وسواهم.

على أن تلك النماذج الخيرة من الرجال، وإن كانوا في مستوى لا تق في الفكر والعمل والقدرة الإدارية والقيادية، إلا أن الإمام (عليه السلام) قد زودهم بخط هادية ومناهج راشدة، يهدفون بها في حياتهم العملية، وفي علاقاتهم مع مختلف قطاعات الأمة التي يباشرون قيادتها.

فهو يلزم ولايته بالنصح لعباد الله، وإشاعة العدل بينهم ومعاملتهم باللين والحب، والتجاوز عن كل مظاهر الاستعلاء التي يعرى بها المنصب غالباً والحيولة دون تأثير ذوي النفوذ الاجتماعي في مسيرة العدالة الإسلامية على حساب القطاعات الاجتماعية الأخرى، ونحو ذلك من مستلزمات إشاعة العدل وإقامة الحق بين الناس.

وهذه نماذج من خطته في هذا المضمار:

«.. فأخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا يئأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وأن يعف فهو أكرم...» [٩٠].

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشياطين، واعلم إن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار...» [٩١].

هذه صورة من توجيهات الإمام (عليه السلام) التي ألزم ولايته بالعمل على ضوئها في حياتهم العملية.

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن الإمام (عليه السلام) بالرغم من اهتمامه بانتقاء العناصر الكفوءة والورعة فإنه كان يحرص على الإحاطة بأساليبهم في معاملته الأمة من خلال مراكزهم القيادية باستعانتهم بجهاز من الرقباء والعيون ليرى مدى طاعة الولاة وتنفيذهم لقواعد العدالة الإسلامية، فإذا بدا من أحدهم خطأ أو تقصير، بادر الإمام إلى تقويم سلوكه بالوسائل التربوية تارة وبالتهديد أو بالعزل إذا لم

الأمر، وهذه نماذج من وسائله تلك:

فقد بلغه أن عثمان بن حنيف (رض) واليه على البصرة دعاه بعض شخصيات أهل البصرة إلى مأدبة، فخشى الإمام (عليه السلام) أن تستميله تلك الوسائل أو سواها فينحرف عن خط العدالة الإسلامية المرسوم فيميل في أحكامه أو يجور في قضائه ومعاملته للأمة، فكتب إليه كتاباً جاء فيه: «أما بعد، يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقتضيه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه، فالفظه وما أيقنت بطيب وجوهه، فقل منه..

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد..» [٩٢].

وقد كتب إلى مصقلة الشيباني عامله على (أردشير خزة) مهدداً ومتوعداً (بلغني عنك أمر أن كنت فعلته، فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك: إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك على هواناً، ولتخفن عندى ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تطمح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً..» [٩٣].

وكتب إلى أحد عماله يقول: «أما بعد فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخط ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك، بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فأرفع إلى حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس..» [٩٤].

وكما كان الإمام (عليه السلام) يخطط للولاء ويزودهم بنصائحه الهادية، كان يرسم الخطط كذلك لقادة جيوشه، ويوضح لهم معالم الطريق، وما ينبغي عليهم فعله عند مواجهة العدو.

فكان (عليه السلام) ينهاهم عن البغي، ويأمرهم بعدم إثارة الحرب من جانبهم، وإنما ينبغي التسلح بالصبر وضبط النفس، وأن يكونوا في بداية المواجهة كما لو كانوا مدافعين فحسب، فإذا اعتدى عليهم فقد قامت الحجة لصد العدوان، فإذا قدر وانتصروا على عدوهم فلا يباح أن تحملهم نشوة الظفر على عدوهم إلى ملاحقة جنوده الهاربين من القتال، أو الذي لا يملك منهم سلاحاً يدافع به عن نفسه، كما لا يجوز قتل الجرحى، أو الإساءة إلى النساء، وإن بدأن الإساءة بسب أو شتم أو نحوه.

وهذه بعض وصاياه (عليه السلام) لجيوشه:

«.. لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة وتركم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً [٩٥] ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم..» [٩٦].

«.. ألا وإن لكم عندى ألا- أحتجز دونكم سراً إلا- فى حرب، ولا- أطوى دونكم أمراً إلا فى حكم، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندى فى الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولى عليكم الطاعة، وألا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا فى صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق..» [٩٧].

وبالنظر للأهمية البالغة التي يحتلها جهاز جباية الأموال فى الدولة الإسلامية حيث تشكل الحقوق العامة فى ملكية الأفراد عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الإسلامى، فإن حق الجماعة فى الملكيات الخاصة يوفر ضمانته كبرى لمساعدة الدولة الإسلامية على تغطية نفقاتها الكبرى على الصعيد الاجتماعى والعسكرى وغيرهما من جوانب الحياة العامة.. أقول بالنظر لأهمية جهاز الجباية هذا فقد أولاه الإمام (عليه السلام) عناية فائقة لا من أجل أن يجمع أكبر نصيب من المال أبداً، وإنما من أجل أن ينخرط- ذلك الجهاز- فى مسيرة العدالة الإسلامية المثلى التي جسدها الإمام (عليه السلام) فى حياة الناس.. فكان الإمام حريصاً على أن يلتزم موظفوا ذلك الجهاز بأقصى

درجات العدل والفضيلة والنبيل، والشعور بالمسؤولية فليست مهمتهم في نظر الإمام (عليه السلام) أن يجمعوا المال من أجل المال، وإنما ينبغي عليهم أن يلتزموا الحق في تعاملهم مع الأمة وأن يعكسوا عدالة الإسلام لمن يلتقون بهم من الناس، فلا ينبغي أن يغضبوا أحداً من الناس، ولا يسيؤوا معاملته أحد، ولا يضربوا إنساناً من أجل درهم مثلاً، ولا يجوز أن يعتدوا على مال امرئ من المسلمين أو من غيرهم ممن يتمتع بحق التبعية للدولة الإسلامية.

كما لا يجوز أبداً أن يبيعوا كسوة إنسان أو دابته من أجل استيفاء المال، ولا يحق لأحد الجبأ أن يردع أحداً أو يستوفي أكثر من حق الله في ماله، ولا ينبغي أن يستعلى على الناس أو يبخل عليهم بالتحية أو اللطف والمرونة في معاملتهم إلى غير ذلك من وصاياهم (عليه السلام).

وهذه صور من مناهجه في هذا المضمرة:

«... فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة ولا تحسموا أحداً عن حاجته ولا تجسوه عن طلبته، ولا تبغى للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد...» [٩٨].

«.. انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدم [٩٩] بالتحية لهم. ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل الله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه...؟» [١٠٠].

ثانياً: تجسيد المخطط الإسلامي للعدالة الاجتماعية بأجلى صورة وأدق تفصيلاته.

إذا كانت جميع جوانب الجهاز الحكومي في الدولة الإسلامية قد تناولتها يد الإصلاح، فحققت أرقى النماذج التي يصبو إليها الإنسان، فإن الإمام (عليه السلام) قد خطا في سبيل تحقيق أفضل صورة للعدالة الاجتماعية وفقاً للتصورات الإسلامية التفصيلية. فقد شهد المجتمع الإسلامي بجميع قطاعاته وقواه عدالة رائدة كالتى شهدها أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منطلقاتها وأبعادها.

وفيما يلي شواهد من تلك التجربة التاريخية المشعة التي تفيأت الأمة ظلالها:

رفق وتعاهد

فقد شهدت قطاعات الأمة جميعاً صوراً من التعاهد لأمرها والرفق بها ورعاية شؤونها، والتسوية في العطاء بين جميع حملة التبعية للدولة الإسلامية التى تجسدها هذه النصوص: «المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل لأحد على أحد». «وأيما الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزائمه حتى أوردته منه الحق وإن كان كارهاً». [١٠١]. أقول إلى جانب هذا وذاك، شهدت الأمة التى قادها أمير المؤمنين (عليه السلام) بمختلف قطاعاتها من ألوان التدبير لشؤونها، والرعاية لأمرها، والحدب عليها ما حقق لها القوة والسعادة وهذه صور منها:

عن الحكم قال:

«شهدت علياً، وأتى له بزقاق من عسل، فدعا اليتامى وقال: ذوقوا، والعقوا، حتى تمنيت أنى يتيم، فقسمه بين الناس وبقي منه زق، فأمر أن يسقاه أهل المسجد». [١٠٢].

وعن هارون بن عنترة عن زاذان قال: انطلقت مع قبر غلام على (عليه السلام) فإذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً.

قال (عليه السلام): وما هو، ويحك!!

قال: قم معي..

فقام فانطلق به إلى بيته، وإذا بغرارة مملوءة ما جامات ذهباً وفضة، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال.

فقال علي (عليه السلام): ويحك يا قنبر، لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة ثم سل سيفه، وضربها ضربات كثيرة، فانتشرت.. ثم دعا بالناس، فقال: اقسموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبراً ومسال فقال: ولتقسموا هذا..» [١٠٣].

وعن الحكم قال: إن علياً قسم فيهم الرمان حتى أصاب مسجدهم سبع رمانات، وقال: أيها الناس أنه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها، ونستقلها إذا قسمناها، وإنا قد قسمنا كل شيء أتاناً.

قال: وأتته صفائح فضة فكسرهما، وقسمها بيننا.

وعن علي بن ربيعة قال: جاء ابن التياح إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء. فقال علي: الله أكبر، ثم قام متوكئاً على يد ابن التياح، فدخل بيت المال وهو يقول: هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه. [١٠٤].

ثم نودي في الناس، فأعطى - علي - جميع ما في بيت المال وهو يقول: «يا بيضاء، ويا صفراء، غري غري».

حتى لم يبق فيه درهم ولا دينار، ثم أمر بنضجه، فصلى فيه ركعتين (عليه السلام).

وكان لشدة حرص الإمام (عليه السلام) على الأمة لرفع غائلة الفقر والظلم عنها أنه التزم السير - عبر أيام خلافته عليها - وفقاً للنهج الآتي: «... ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطاناً، وحولي بطون غرثي، وأكباد حري؟

أفنع من نفسي بأن يقال هذا: أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوأ لهم في جشوبة العيش؟» [١٠٥].

رقابة دقيقة لوضع السوق

ولقد كان الإمام علي (عليه السلام) حريصاً على تجسيد العدالة الاقتصادية في كافة مرافق الحياة الإنسانية ومن أجل ذلك فقد التزم خطة لمراقبة السوق من ناحية البيع والشراء وطبيعته ما يعرض للبيع، للحيلولة دون التطفيف في المكيال والتلاعب بالأسعار أو الغش، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرّة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيبة، فيقف على سوق فينادي:

يا معشر التجار قدموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب، واليمين، وتجاؤا عن الظلم، وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا و

«أوفوا المكيال والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين». [١٠٦].

وعن أبي النوار قال:

رأيت علياً (عليه السلام) وقف على خياط، فقال له: يا خياط صلّب الخيط، ودقق الدرز، وقارب الغرز، فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول «يؤتى يوم القيامة بالخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه، وخان فيه، فيفتضح على رؤوس الأشهاد».

ثم قال: «يا خياط إياك والفضلات والسقطات فإن صاحب الثوب أحق بها..» [١٠٧].

هكذا جسد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المخطط الإسلامي للعدالة الاجتماعية بأدق صورها، وهكذا عامل الأمة بالرفق والحب

فعاش آمالها وآلامها حتى قطفت أروع ثمارات العدل في تاريخها كما كانت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) سواء بسواء.

حياته المتواضعة

تبين الإمام على (عليه السلام) سياسة نكران الذات لصالح الأمة وذلك بالزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعون من مال وملذات وزخرف، فلقد عاش أمير المؤمنين في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه فقراء الأمة، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأته أو يطحنه بيده سواء في ذلك قبل خلافته، وبعدها:

وكان يلبس أحشن لباس وأبسطه وكان مبدؤه الثابت في هذا المضمار:

«.. ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه»، «فوالله، ما كنت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبى طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه كقوت أتان دبرة، ولهى في عيني أو هن من عفسة مقرة». [١٠٨].
وبمقدورنا أن نلمس سياسة الإمام (عليه السلام) هذه مع نفسه من خلال المصاديق التالية:
عن هارون بن عنترة عن أبيه قال:

دخلت على على بالخورنق، وهو في فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة.

فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك!!

فقال (عليه السلام) والله ما أرزؤكم - أنقصكم - شيئاً، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة». [١٠٩].

وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقوله: (يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!).

فأجابه على (عليه السلام):

«ويحك إنى لست كأنت. إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضعة الناس كيلاً يتبَّع بالفقير فقراً». [١١٠].

وعن سويد بن غفلة قال دخلت على على (عليه السلام) يوماً وليس في داره سوى حصير رث وهو جالس عليه.

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير؟

قال (عليه السلام): يا سويد إن البيت لا يتأث في دار النقلة وأماننا دار المقامة، وقد نقلنا إليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها عن قريب. [١١١].

وها هو على يخرج سيفه ليبيعه في السوق كي يشتري بثمنه أزاراً، وهو أمير المؤمنين وزعيم الأمة الإسلامية الذي تجبى إليه الأموال من جميع بقاع العالم الإسلامي.

فعن أبي رجاء قال: أخرج على (عليه السلام) سيفاً إلى السوق فقال: «من يشتري منى هذا؟ فوالذي نفس على بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته!!!»

فقلت له: أنا أبيعك إزاراً وأنسوك ثمنه إلى عطائك، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه، فلما قبض عطائه دفع إلى ثمن الإزار. [١١٢].

إنه (عليه السلام) لا يأخذ من فيئهم شيئاً، وإن قدر له الخروج من بلدهم، فلا يخرج إلا بالذي جاء به من المدينة المنورة: راحلته ورحله وغلामه.

فعن بكر بن عيسى قال: كان على (عليه السلام) يقول: «يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي، ورحلى وغلामى فلان، فأنا خائن».

فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة يبيع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت.

ولشدة حرصه (عليه السلام) على سلوك سبيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عدله وزهده أشار عقبه بن علقمة قال دخلت على

على (عليه السلام) فإذا بين يديه لبن حامض، آذنتي حموضته، وكسر يابس.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أأكل مثل هذا؟

فقال لى: يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل أبيض من هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فإن أنا لم آخذ بما آخذ به خفت ألا ألحق به. [١١٣].

ولعظيم إثاره للأمة على نفسه ما رواه عبدالله بن الحسين بن الحسن (عليهم السلام) قال: أعتق على (عليه السلام) فى حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف مملوك مما عملت يده، وعرق جيئته.

ولقد ولى الخلافة، وأتته الأموال فما كان حلواه إلا التمر ولا ثيابه إلا الكرايس. [١١٤].

وعن سفيان الثورى عن عمر بن قيس قال: روى عن على (عليه السلام) إزار مرقوع، فعوتب فى ذلك، فقال: «يخشع له القلب، ويقتدى به المؤمن». [١١٥].

ولقد بلغ فى شدة زهده (عليه السلام) ونكرانه لذاته ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلى عبر عبارته «... والله لقد رقعت مدرعتى هذه حتى استحيت من راقعها، ولقد قيل لى: إلا تستبدل بها غيرها؟ فقلت للقائل: «ويحك أعزب، فعند الصباح يحمد القوم السرى». [١١٦].

هذه بعض بنود منهاج على (عليه السلام) مع نفسه وهى تمثل إحدى روافد العدالة الإسلامية التى جسدها الإمام على (عليه السلام) فى دنيا الناس أسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله).

مساواة أهل بيته بسائر الناس

أما منهاج أمير المؤمنين (عليه السلام) الذى سلكه فى أهل بيته وقرابته فلم يكن بعيداً عن منهاجه مع نفسه إلا من حيث الدرجة، فقد كان مبنياً على أساس مساواتهم بالأمة فى الحقوق والواجبات، بل إن الذى يتحملونه من مهام من أجل حماية الرسالة والمسيرة أكثر بكثير مما ينالون من حقوق...

كان الإمام (عليه السلام) حريصاً على معاملته ذويه فى مسألة الحقوق كما لو كانوا من عامة الناس، فلا يفضلهم بعتاء، ولا يميزهم بحق، فلقد سلك معهم أسلوب التدريب والإعداد للعمل بمنهاجه معهم، بل كان يبدو شديداً مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذى رسمه الإمام (عليه السلام) لمتعلقيه وأهل قرابته.

وهاك صوراً من منهاجه ذلك:

قال مسلم صاحب الحنا:

«لما فرغ على (عليه السلام) من أهل الجمل أتى الكوفة، ودخل بيت المال، ثم قال: يا مال غرّ غيرة، ثم قسمه بيننا، ثم جاءت ابنة للحسن أو للحسين (عليهما السلام) فتناولت منه شيئاً، فسعى ورائها ففك يدها ونزعه منها، فقلنا: يا أمير المؤمنين إن لها فيه حقاً، قال (عليه السلام) إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء». [١١٧].

وروى هارون بن سعيد قال: قال عبدالله بن جعفر بن أبى طالب لعلى (عليه السلام): يا أمير المؤمنين، لو أمرت لى بمعونته أن نفقه، فوالله ما لى نفقة إلا أن أبيع دابتي!!

فقال الإمام (عليه السلام) لا والله، ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك [...] [١١٨].

وقد جاء أخوه عقيل - وكان ضريباً - يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين - زيادة على حقه - وظل يكرر طلبه على على (عليه السلام) فما كان من الإمام أمير المؤمنين إلا وأحمى له حديدة على النار وأدناها منه، ففزع منها عقيل ثم وعظه (يا عقيل أثن من حديدة أحماها أنسانها للعبة وتجرنى إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أثن من الأذى ولا أثن من لظى..). [١١٩].

وعن أبى صادق عن على (عليه السلام): إنه تزوج ليلى، فجعلت له حجلة، فهتكها، وقال:

حسب آل على ما هم فيه.

وعن الحسن بن صالح بن حي قال: - بلغني أن علياً تزوج امرأة فنجدت - زينت - له بيتاً، فأبى أن يدخله. [١٢٠].
وعن كلاب بن علي العامري قال:

زفت عمتي إلى علي (عليه السلام) على حمار بأكاف تحتها قطيفة، وخلفها قفه معلقة!! [١٢١].

هكذا كان منهج علي (عليه السلام) مع أهل بيته وذوى قرابته لا يفرط من أجلهم بحق من حقوق المسلمين، بل يعمل كان ما من شأنه على رفع مستواهم باتجاه مبادئه في الزهد، ونكران الذات في سبيل الله تعالى، ولصالح مجموع الأمة.
ولقد كان منهجه واضحاً كل الوضوح لا- لبس فيه ولا- غموض ولا- يخضع لعاطفة أو مساومة أبداً «.. والله لئن أبيت علي حرك السعدان مسهداً أو أجر في الإغلال مصفداً أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفسي يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها..» [١٢٢].
وهذا السبيل الذي اختاره الإمام (عليه السلام) إنما يمثل أحد مصاديق العدل الاجتماعي الشامل الذي حرص أمير المؤمنين (عليه السلام) على تجسيده واقعاً حياً في دنيا الناس.

سياسة رد الفعل

اشاره

وبسبب ما ألفه رجال قريش من أثره وامتيازات لا حصر لها فقد كبر عليهم أن ينهج الإمام (عليه السلام) نهج التسوية في الحقوق - كما أمر الله سبحانه.

فقد أنكر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله على الإمام (عليه السلام) سياسته تلك واعتبراها مخالفة للنهج الذي ألفه الناس.

فقال لهما الإمام (عليه السلام): ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟

قالا: إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماننا فيما أفاء الله علينا بأسيافا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا، وأخذنا قسراً قهراً ممن لا يرى الإسلام إلا كرهاً. [١٢٣].

فقال الإمام علي (عليه السلام) لهما: لقد نعمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً ألا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتمكما عنه؟ أم أي قسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إلى حد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه؟

والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية أربة، ولكنكم دعوتوني إليها، وحملتوني عليها فلما أفضت إلى نظرت إلى كتاب الله، وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به، فاتبعته، وما استسن النبي (صلى الله عليه وآله)، فاقديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وأخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا عن غيركما.

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوء - التسوية في العطاء - فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوى مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما، والله، عندي ولا لغيركما في هذا عتبي، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر... رحم الله أمراً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فرده، وكان عوناً بالحق على صاحبه..» [١٢٤].

وهكذا تختلف المنطلقات والمفاهيم، ينطلق علي (عليه السلام) مما يأمر به الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) بينما تنطلق المعارضة مما توحى به مصالحها.

وشتان بين منطلق يرمى إلى تحقيق متطلبات الرسالة ومصلحة مجموع الأمة، ومنطلق مادي لا يرى غير المصلحة الذاتية.

وما أن تناقلت الأنباء أمر استخلاف الإمام علي (عليه السلام) ونهوضه بأعباء قيادة الأمة إلا وفرع معاوية بن أبي سفيان معلناً معارضته. وفي الأثناء ورد عليه كتاب من ابن العاص يطلعه على حقيقة الموقف في عاصمته رسول الله (صلى الله عليه وآله). «من عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان: أما بعد، ما كنت صانعاً فاصنع، إذ قشرك ابن أبي طالب من كل ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها...» [١٢٥].

وها هو الإمام علي (عليه السلام) يكتب لمعاوية كتاباً يستقدمه فيه، بيد أنه لم يستجب للإمام (عليه السلام) بل ولم يرد على كتابه. [١٢٦].

وبعد مضي ثلاثة شهور على مقتل عثمان، وقيام الإمام علي (عليه السلام) بالأمر يشهر معاوية سلاح المطالبة بدم عثمان، متخذاً منه ذريعة للخروج على إمام زمانه.

وقد بدأت معارضته بنشر ثوب عثمان الدامي في مسجد دمشق وشعيرات من لحيته، وقد جمد عليها الدم، وراح يستشير أهل الشام للنهوض من أجل عثمان والانتقام ممن قتله، ومن ثم أرسل رسولاً إلى الإمام (عليه السلام) حتى إذا وصل الرسول إلى المدينة المنورة جعل يسير في دروبها، وهو يحمل صحيفة مختومة مكتوباً عليها من «معاوية إلى علي» وهو عنوان يثير الدهشة لدى الناس فهو خال من كل لياقة وكياسة، كما يشير إلى أن مرسله لا يحمل إلى زعيم المسلمين أي شعور بالاحترام والتقدير.

وفض الإمام (عليه السلام) صحيفة معاوية، فوجدها بيضاء لا حرف فيها فسأل رسول معاوية: ما وراءك؟ قال بعد أن استأمن الإمام (عليه السلام): إني تركت ورائي أقواماً يقولون لا نرضى إلا بالقود.

قال الإمام (عليه السلام): ممن؟

قال: يقولون من خيط رقبة علي، وتركت ستين ألف شيخ يكون تحت قميص عثمان، وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق، وأصابع زوجته نائلة معلقة فيه.

فقال الإمام: «أمنى يطلبون دم عثمان، اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان...» [١٢٧].

ثم أمر الإمام (عليه السلام) رسول الشام أن يغادر بعد أن منحه الأمان.

ومنذ ذلك التاريخ بادر الإمام (عليه السلام) بتجهيز جيشه لإخماد حركة البغاة التي قادها معاوية في الشام.

خلفيات المطالبة بدم عثمان

ولنا أن نتساءل قبل أن نمضي في حديثنا قدماً، هل كانت الأطراف في كل من الشام والبصرة صادقة في ادعاء المطالبة بدم الخليفة الثالث؟

وللإجابة على هذا السؤال الذي يفرض نفسه على الكاتب والقارئ معاً في هذه المسألة: لا بد من الرجوع إلى مواقف تلك الأطراف جميعاً أيام الثورة التي تمخض عنها مقتل عثمان.

فقد كان معاوية يعلم بتفاصيل ما يجري للخليفة في المدينة، وقد استغاث به الخليفة أيام الحصار فلم يغثه بشيء حتى أرسل معاوية جيشاً إلى المدينة بقيادة يزيد بن أسد القسري وقال له: «إذا أتيت ذا حُشب - منطقة خارج المدينة - فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب». [١٢٨].

فأقام القسري بجيشه في المكان الذي حدده معاوية، فلما قتل عثمان استدعى معاوية الجيش وقائده إلى الشام.

هذه بعض مواقف معاوية، من عثمان بن عفان أيام حكمه، ومن هنا شعار المطالبة بدم الخليفة القاتل من قبله كان مجرد وسيلة لاستدراار العطف وتجميع الأنصار: فدوافعه الحقيقية إنما تكمن في نغمته على سياسة علي (عليه السلام) الإصلاحية والتي كانت تمس مصالح بعض طبقات المجتمع بشكل أو بآخر.

وقد أفصح الإمام (عليه السلام) عن موقفه إزاء مقتل الخليفة عثمان بقوله: «اللهم إني أبرأ من دم عثمان، ما نجا والله قتله عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً بلغه». [١٢٩].

ويتضح موقف الإمام (عليه السلام) كذلك من كتاب له إلى معاوية حيث جاء فيه «وقد أكثر في قتله عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فخذعه...» [١٣٠].

موقف الأمام على أيام الأزمة

ومن الضروري جداً أن نشير ولو بشكل مقتضب إلى موقف الإمام (عليه السلام) أيام الأزمة التي تعرضت لها الخلافة في عهد عثمان: فحين هاج الناس في عهد عثمان حاول الإمام (عليه السلام) أن يقنع الخليفة بضرورة الإصلاح، وجرى بينهما حديث بهذا الشأن، ومما نصح به الإمام (عليه السلام) الخليفة قوله:

«... وإني أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها، ويبث الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يمجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكونن لمروان سيقه يسوقك حيث يشاء بعد جلال السن وتقضى العمر». [١٣١].

فقال له عثمان: «كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مضالمهم». [١٣٢].

فقال الإمام (عليه السلام): «ما كان بالمدينة، فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه». [١٣٣].

قال الخليفة: نعم ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام.

فخرج الإمام إلى الناس، وأخبرهم بما وعد به الخليفة، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً وأشهد عليه قوماً من وجوه المهاجرين والأنصار». [١٣٤].

وحيث لم يتيسر لعثمان أن يبر بوعده للناس تأزم الموقف مجدداً..

وقد زاد في حراجه الموقف عثور المصريين الثوار على بريد من عثمان إلى عامل مصر يأمره بعاقبة قادة الثائرين بالقتل [١٣٥] ومعاقبة كل متظلم بالسجن ونحو ذلك..

فحوصر الخليفة من قبل المهاجمين والطامعين في الخلافة معاً حتى قطع عنه الماء - كما قدمنا - فاستنجد بالإمام على (عليه السلام) فأسرع لإنقاذه وأرغم طلحة وسواه، وأدخل إليه الماء. [١٣٦].

وبعد أن طال حصار الخليفة - أربعين يوماً - طلب بعض الناس من على (عليه السلام) أن يصلي بهم، فأبى فتولى طلحة إمامة الصلاة! هذه بعض مواقف الإمام (عليه السلام) من أجل عثمان... وبالرغم من تلك المواقف النبيلة التي وقفها الإمام (عليه السلام) من أجل الخليفة فإنه لا يعنى بحال أن الإمام (عليه السلام) كان راضياً عن سياسة الخليفة في المال والإدارة. [١٣٧].

بيد أن الإمام (عليه السلام) كان يرى في قتل عثمان خطراً يهدد الأمة بالنظر لما يعقبه من تمزق في الصف الإسلامي، وتجرؤ من لدن المتربصين بالإسلام والمسلمين.

الأمر الذي وقع فعلاً بعد مقتل الخليفة مباشرة.

حرب البصرة

إشارة

على الرغم من أن طلحة والزبير كانا من أشد الناقمين على سياسة عثمان ومع أنهما سبقا الناس في البيعة للإمام على (عليه السلام) بعد

قتل عثمان، فإن الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام (عليه السلام) في الحياة الإسلامية لم تجد هوى في نفسيهما فبدأ في العمل للخروج على الإمام (عليه السلام) وإثارة المسلمين عليه، فكانت حصيلة ذلك فتنة كبدت الأمة خسارة فادحة. وقد بذل الإمام (عليه السلام) جهداً كبيراً لتحاشي هذه الفتنة فلم يأل جهداً في بذل النصيحة لهم وتحميلهم مغبة ما سيكون إذا نشبت الحرب، وهذه نصيحته (عليه السلام) لهما:

«أما بعد يا طلحة، يا زبير، فقد علمتما أنني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى أكرهوني، وأنتما أول من بادر إلى بيعتي، ولم تدخلوا في هذا الأمر، بسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، وأنت يا زبير، ففارس قريش، وأنت يا طلحة فشيخ المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخل فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما، ألا وهؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه المطالبون بدمه، وأنتما رجلان من المهاجرين، وقد أخرجتما أمكما من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقر فيه، والله حسبكما..» [١٣٨].

وفي البصرة استمر الإمام (عليه السلام) يبذل نصحه من أجل حقن الدماء، فأرسل للناكثين رسولا يدعوهم للصلح ورأب الصدع. كما التقى بالزبير وذكره بأمور جرت لهما في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها: ما حملك على ما صنعت يا زبير؟ قال: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان!

فقال الإمام: إن أنصفت نفسك، أنت وأصحابك قتلتموه، ولكني أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا زبير أتحب علياً، فقلت، وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي.

فقال لك: أما أنك تخرج عليه وأنت له ظالم!

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك. فقال الإمام: «أنشدك الله أتذكر يوم جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عند بني عوف، وأنت معه، وهو أخذ بيدك فاستقبلته، فسلمت عليه، فضحك في وجهي، وضحكت إليه. فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال (صلى الله عليه وآله) لك: مهلاً يا زبير ليس بعلي زهوه، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟

قال الزبير: اللهم بلى، ولكني قد نسيت ذلك، وبعد أن ذكرتنه لأنصرفن». [١٣٩].

وقد عزم الزبير على اعتزال الناس، غير أن ابنه عبدالله وصفه بالجبن إن هو أقدم على ذلك. وهكذا تفجر الموقف واندلع القتال بين المعسكرين..

الموقف الإنساني

غير أن الإمام ظل ملتزماً بالصبر والأناء وبما امتاز به من الروح الإنسانية الرفيعة، فها هو يخاطب جيشه - بعد اندلاع القتال، وبعد أن ذهبت كل محاولاته لإصلاح الموقف سدى - ملزماً أصحابه بأرفع الأخلاق التي يريد الله سبحانه من المسلم الالتزام بها في ساحة الحرب أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً، ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً. [١٤٠] طارحاً بذلك أحكام شريعة الله تعالى في البغاء.

ثم دعا ربه الأعلى سبحانه مستجيراً من الفتنة التي فجرها الناكثون معلناً براءته منها أمام الله الكبير المتعال.

فبعد أن رفع يديه إلى السماء قال «اللهم إن طلحة والزبير أعطيني صفقة أيديهما طائعين، ثم نصبا إلى الحرب ظاهرين، اللهم، فأكفنيهما بما شئت وكيف شئت..» [١٤١].

وقد أسفرت المعركة عن انتصار ساحق لمعسكر الإمام (عليه السلام) فأعلن الإمام العفو العام عن جميع المشتركين في حربه:

«ألا- لا يجهز على جريح، ولا يتبع مول، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ولا يستحلن فرج ولا مال، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك، فهو لورثته، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد- الأمة استولدت ذكراً أو أنثى- والموارث على فريضة الله، وأى امرأة قتل زوجها،

فلتعتد أربعة أشهر وعشرًا.

فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماءهم ولا تحل لنا نساؤهم؟

فقال (عليه السلام): كذلك السيرة في أهل القبلة. [١٤٢].

بيد أن بعضاً من جيشه كانوا يرغبون الحصول على مغنم أكبر مما حدده الإمام (عليه السلام).

فقام له رجل قائلاً: يا أمير المؤمنين، والله ما قسمت بالسوية ولا عدلت في الرعية!

قال الإمام (عليه السلام): ولم؟ ويحك!!

قال: لأنك قسمت ما في المعسكر وتركت الأموال والنساء والذرية!!

فقال له الإمام موضعاً فلسفه ذلك الموقف الإنساني الذي التزمه:

يا أخا بكر: إنك امرؤ ضعيف الرأي أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنوب الكبير، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشد، وولدوا على الفطرة، وإنما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دورهم، فهو ميراث لذريتهم، فإن عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه، وإن كف لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر: لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أهل مكة: قسم ما حوى العسكر، ولم يعرض لما سوى ذلك وإنما اتبعت أثره..

يا أخا بكر: أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها؟

وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق..».

هذه بعض مصاديق الموقف الإنساني الفريد الموافق لأمر الله والمطابق لشريعته الغراء الذي التزم به الإمام (عليه السلام) في معاملته المنهزمين في خصومه.. إنه موقف لا ترى فيه للعاطفة والاندفاع والتشقى أثراً.. إنه موقف جسد فيه الإمام حكم الله تعالى.

وهل غير علي (عليه السلام) جدير بتجسيد حكم شريعته الله فيما شجر بين الناس؟

وواصل الإمام (عليه السلام) خطواته الإنسانية إزاء الناكثين.

وهكذا حسم الموقف لصالح الإمام (عليه السلام) في فتنة البصرة فأبدى الإمام (عليه السلام) خلاله وبعده أنبل المشاعر وأصدقها نحو المغرر بهم محاولاً بذلك رأب الصدع وجمع الشمل وإعزاز الأمة.

حرب صفين

بعد أن تم لعلی (عليه السلام) النصر عاد بجيشه إلى الكوفة، وبعد أن عزز الجيش عزم على التوجه إلى الشام لتصفية المعارضه التي يقودها معاوية بن أبي سفيان هناك..

وسار الإمام (عليه السلام) على رأس جيشه، غير أن أنباء مسير الإمام (عليه السلام) نحو الشام قد بلغت الناكثين هناك، فقرروا ملاقاته الزحف الإسلامي فتلاقى الجيشان عند نهر الفرات...

وبدأ الإمام (عليه السلام) ببذل مساعيه لإصلاح الموقف بالوسائل السلمية، فأرسل وفداً ثلاثياً إلى معاوية، يدعوه إلى تقوى الله والحفاظ على وحدة الصف والدخول في إجماع الأمة «.. اذهبوا إلى هذا الرجل - معاوية - وادعوه إلى الله تعالى، وإلى الطاعة والجماعة، لعل الله تعالى أن يهديه، ويلتئم شمل هذه الأمة». [١٤٣].

والتقى الوفد بقائد المعارضه، وأبلغوه بنوايا الإمام (عليه السلام) ووضعوه أمام الله تعالى وحذروه مغبه ما يقدم عليه، غير أن معاوية أبدى إصراراً، وقد ختم رده على الوفد «انصرفوا عني فليس عندي إلا السيف». [١٤٤].

على أن الموقف الأموى ذلك لم يصرف الإمام (عليه السلام) على التسليح بالصبر والأناة ولم يثر فيه روح التعجيل بالمواجهة الصارمة

حقناً للدماء، وحفاظاً على نفوس الأمة..

بيد أن الموقف الإنساني الذي التزمه الإمام (عليه السلام) لم يزد القوى المعارضة إلا إصراراً، فعملوا من جانبهم على الحيلولة دون حصول جيش الإمام (عليه السلام) على الماء، حيث سبق أن تحرك فيلق لهم واتخذ مواقعه عند ماء الفرات ليمنع جند الإمام من الماء.. وبالنظر لأهمية الماء في الإستراتيجية العسكرية ولعدم توفر مصدر آخر لجيش الإمام غير الفرات، فإن الإمام (عليه السلام) قد التزم الأناة أيضاً في معالجة الموقف.

فأرسل رسولاً إلى معاوية ليلبغه «أن الذي جئنا له غير الماء، ولو سبقناك إليه لم نمنعك عنه».

فرد عليهم معاوية بقوله: «لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ!!!»

الأمر الذي اضطر الإمام (عليه السلام) إلى استعمال العنف في الحصول على الماء لجيشه، حيث لا بدليل للعنف..

وهكذا حرك الإمام (عليه السلام) فرقه من جيشه لإنهاء الحصار المضروب عليهم، فانهزم فيلق معاوية شر هزيمة..

وبعد أن صار الماء في نطاق نفوذ جيش الأمام (عليه السلام) أذن للباغين بالتزود منه متى شاءوا، مجسداً بذلك بنداً من أخلاق الإسلام العظيمة في هذا المضمار.

فأعظم بعلى من محارب نبيل، وأكرم به من صاحب قلب كبير..

وحيث أن همّ الأمام (عليه السلام) أن يحقق دماء المسلمين ويصونهم من التمزق، ويدراً التصدع عن صفهم، فقد طلب من معاوية أن ينزله إلى ميدان القتال فينقاتلا- دون الناس لكي تكون إمامة الأمة لمن يغلب «يا معاوية علام يقتتل الناس؟ أبرز إلى ودع الناس، فيكون الأمر لمن غلب».[١٤٥].

إلا- أن معاوية قد رفض خوفاً من بطش الإمام (عليه السلام) وبالرغم من أن الجيش الأموي قد بدأ القتال من جانبه، فإن الإمام (عليه السلام) قد التزم بضبط النفس كذلك وحاول أن يحصر القتال في حدود المبارزة المحدودة.[١٤٦].

ولما لم تلق محاولات الإمام (عليه السلام) الرأب الصدع- الذي خلفه معاوية في صف الأمة- استجابة، تفجر الموقف بحرب واسعة النطاق استمرت أسبوعين دون هوادة.

وقد لاحت تابشير النصر لصالح معسكر الإمام (عليه السلام) وأوشكت القوى الباغية على الانهزام، فدبروا «خدعة المصاحف» فرفعوا المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف.. مما نجم عن تلك الخطة الماكرة تغير جوهرى في الموقف العام.

ولقد كان لرفع المصاحف من لدن معسكر معاوية صدى عميقاً في معسكر الإمام (عليه السلام) إذ سرعان ما سارت كثرة كاثرة من جيشه مطالبة بإيقاف القتال.. فكثر اللغظ بين الصفوف وآثر الآلاف ترك الحرب..

ومع أن الإمام (عليه السلام) تصدى لكشف خلفيات رفع المصاحف واستعمل كل وسائل الإقناعية في البرهنة على كونها خدعة يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذي بات وشيكاً لصالح جيش الإمام (عليه السلام). إلا أن المطالبين بإيقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة في هذا المضمار، ولعل بعضهم استعمل لغه التهديد للإمام (عليه السلام) [...] [١٤٧].

واضطروه أن يبعث الأشعث بن قيس إلى معاوية للتعرف على ما يريد من وراء رفعه للمصاحف، فعاد يحمل رغبة معاوية في التحكيم.. ثم تلى ذلك الفصل الثانى من المأساة، فاختارت الغوغاء أبا موسى الأشعري لتمثيل معسكر الإمام (عليه السلام) بينما اختار معاوية ابن العاص. على أن الإمام (عليه السلام) قد رفض فكرة تمثيل الأشعري لمعسكره باعتبار أن الأشعري كان معتزلاً للإمام (عليه السلام) ولم يكن يرى في الإمام أهلاً لتولى الخلافة بعد عثمان [١٤٨] هو وآخرون ممن اعتزلوا الإمام (عليه السلام)- وكان يخذل الناس عن نصرة الإمام، مما حمل الإمام على عزله من ولاية الكوفة.. [١٤٩].

وقد رجح الإمام (عليه السلام) أن يكون الممثل لمعسكره في التحكيم عبدالله بن عباس، غير أن الغوغاء أصروا على اختيار أبى موسى الأشعري بالرغم من تأكيد الإمام على ضعفه ووهن رأيه إضافة إلى مركزاته الفكرية وموقفه من حكومة الإمام (عليه السلام).

وها هو الإمام (عليه السلام) يخاطب المخدوعين بقوله «قد عصيتموني في أول الأمر - يشير إلى قبول التحكيم وإيقاف القتال - فلا تعصوني الآن، لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه ضعيف عن عمرو ومكائده». [١٥٠].

إلا أنهم أصرروا على اختيار الأشعري..

ومن هنا فإن الباحث البصير لا يمكن أن يركن إلى الاعتقاد بأن تلك الأمور قد جرت بشكل عفوى أبداً.. فإن سير الأحداث لا يدل على ذلك.. إذ أن رفع المصاحف كان قد جرى بتوقيت وتنسيق بين معاوية وحركة موالئه له في جيش الإمام (عليه السلام) لا بد أن يكون له اتصال معها..

فما أن ارتفعت المصاحف حتى استجاب أولئك لإيقاف القتال مستفيدين من سأم الناس من القتال، فوسعوا قاعدتهم في صفوف معسكر الإمام (عليه السلام) وفرضوا عليه التحكيم، وممثل معسكره في التحكيم فيما بعد..

وهكذا فإنني لا أعتقد بحال أن لا تكون حركة التمرد في جيش الإمام (عليه السلام) بذلك الشكل الذي ذكره المؤرخون لا تعتمد على تخطيط أموى مسبق أبداً..

وقد جاءت نتائج التحكيم - كما توقع الإمام (عليه السلام) لصالح معاوية حيث بدأ الأمر يستتب له شيئاً فشيئاً.

حرب النهروان

بعد واقعة التحكيم عاد الإمام (عليه السلام) بجيشه إلى الكوفة.. ففوجئ بخروج طائفة من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف، معلنة تمردا على الإمام (عليه السلام) فلم تدخل معه الكوفة.. وإنما سلكت سبيلها إلى حركة وراء، فالتحقت مواقعها هناك...

ومن الجدير بالذكر أن الفئة التي خرجت على الإمام (عليه السلام) كان قوام أغلبها من الفئات التي أرغمتها على التحكيم في حرب صفين. [١٥١].

فعند تمرد تلك الفئة وخروجها من جيش الإمام (عليه السلام) أعلنت مبررات خروجها تحت شعار «لا حكم إلا لله، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا إلى ربنا، ورجعنا عن ذلك، فارجع - يقصدون الإمام (عليه السلام) - كما رجعنا، وإلا فنحن منك براء». [١٥٢].

بيد أن الإمام (عليه السلام) أوضح لهم حينئذ أن الخلق الإسلامي يقتضى الوفاء بالعهد - الهدنة لمدة عام - الذي أبرم بين المعسكرين قائلاً: «ويحكم، بعد الرضا والعهد والميثاق أرجع؟»

أوليس الله يقول «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون». [١٥٣].

إلا - أن المعارضة لم تصغ إلى توجيهات الإمام (عليه السلام) واستمروا في غيهم، وتعاضم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتمين إلى معسكر الإمام (عليه السلام) - بالإضافة للإمام - ورأوا استباحة دمائهم..

ولقد كان الإمام (عليه السلام) عازماً على عدم التعرض لهم ابتداء ليمنحهم فرصة التفكير جدياً بما أقدموا عليه، عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد، ولكي يتفرغ كلياً لاستئناف القتال مع البغاة في الشام، بعد فشل التحكيم بعد اللقاء الثاني بين الحكمين، حيث تمت خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري التي أدت إلى عدم تحقيق التحكيم..

غير أنهم بدأوا يشكلون خطراً حقيقياً على دولة الإمام (عليه السلام) من الداخل.. وبدأ خطرهم يتعاظم فقتلوا بعض الأبرياء، وهددوا الآمنين، فقتلوا الصحابي الجليل عبدالله بن خباب وبقروا بطن زوجته وهي حامل مقرب دون مبرر.. وقتلوا نسوة من طي.

فلما بلغ أمرهم أمير المؤمنين (عليه السلام) أرسل إليهم الحارث بن مرة العبدى، ليتعرف على حقيقة الموقف، غير أنهم قتلوه كذلك.

[١٥٤].

فلما علم الإمام (عليه السلام) بالأمر كثر راجعاً من الأنبار - حيث كان قد اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهة نحو الشام - وعندما اقتربت قواته منهم بذل مساعيه من أجل إصلاح الموقف دون إراقة للدماء، فبعث إليهم أن يرسلوا إليه قتلة المؤمنين عبدالله بن خباب والحارث العبدى وغيرهما وهو يكف عنهم، ولكنهم أجابوه: أنهم كلهم قتلوه..

وبعث الإمام (عليه السلام) إليهم الصحابي الجليل قيس بن سعد فوعظهم، وحذرهم مغبة موقفهم الأحمق ... وأهاب بهم للرجوع عما يرون من جواز سفك دماء المسلمين وتكفيرهم دون وجه حق [... ١٥٥].

وتابع الإمام (عليه السلام) موقفه الإنساني الرشيد، فأرسل إليهم أبا أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) وبعد أن وعظهم، رفع رايه ونادى: من جاء هذه الراية - ممن لم يقتل - فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن لا حاجة لنا به بعد أن نصيب قتلة إخواننا. [١٥٦].

وقد نجحت المحاولة إلى حد كبير حيث تفرقوا شيئاً بعد شيء حتى انخفض عددهم إلى أربعة آلاف إذ كان عددهم اثني عشر ألفاً. وقد بدأ الباكون منهم الهجوم من جانبهم على جيش الإمام (عليه السلام) فأمر أصحابه بالكف عنهم حتى يبدؤوا بالقتال. فلما بدأ الخوارج القتال، طوقتهم قوات الإمام (عليه السلام) وتحقق الظفر لراية الحق.

وهكذا قضى الإمام (عليه السلام) في حرب النهروان على حركة الذين سبق لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أن سماهم بالمارقين حين أشار إليهم في حديث رواه أبو سعيد الخدرى قال «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول يخرج في هذه الأمة قوم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية». [١٥٧].

في ذمة الله

أنهى الإمام (عليه السلام) مقاومة المارقين، فشم عن ساعديه لاستئناف قتال القاسطين في الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء الثانى بين الحكمين.

وقد أمر الإمام (عليه السلام) بتعبئة جيشه، وأعلن حالة الحرب لتصفية قوى المعارضة التى يقودها معاوية، وجاء إعلان الحرب من خلال خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) خطبها في الكوفة - عاصمة الدولة الإسلامية - فضمنها دعوته للجهاد.

«.. الجهاد، الجهاد عباد الله! ألا وإنى معسكر فى يومى هذا.. فمن أراد الرواح إلى الله، فليخرج!». [١٥٨].

ثم بادر الإمام (عليه السلام) إلى عقد ألوية الحرب، فعقد للحسين راية ولأبى أيوب الأنصاري أخرى، ولقيس بن سعد ثالثه. وبينما كان أمير المؤمنين يواصل تعبئة قواته من أجل أن ينهى حركة المعارضة التى يقودها معاوية فى بلاد الشام كان يجرى فى الخفاء تخطيط لئيم من أجل اغتيال الإمام (عليه السلام).

فقد كان جماعة من الخصوم قد عقدوا اجتماعاً فى مكة المكرمة، وتداولوا فى أمر حركتهم، التى انتهت إلى أوخم العواقب. فخرجوا بقرارات كان أخطرها قرار اغتيال أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد أوكل أمر تنفيذه للمجرم الأثيم (عبدالرحمن بن ملجم المرادى)، وفى ساعة من أخرج الساعات التى يمر بها الإسلام والمسيرة الإسلامية، وبينما كانت الأمة تتطلع إلى النصر على عناصر المعارضة والفرقة التى يقودها معاوية بن سفيان، امتدت يد الأثيم المرادى إلى على (عليه السلام) فضرب الإمام (عليه السلام) بسيف وهو فى سجوده عند صلاة الفجر، وفى مسجد الكوفة الشريف، وذلك فى صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٤٠ هجرية.

لقد اغتيل الإمام (عليه السلام) وهو فى أفضل ساعة حيث يقوم بين يدي الله فى صلاة خاشعة.

وفى أشرف الأيام إذ كان يؤدى صوم شهر رمضان.

ثم هو (عليه السلام) في أعظم تكليف إسلامي حيث كان في طريقه لخوض غمر حرب جهادية، كما كان في بقعة من أشرف بقاع الله وأطهرها «مسجد الكوفة».

فطوبى لعلی (عليه السلام) وحسن مآب.

لكن جريمة قتل علي (عليه السلام) تبقى أشرس جريمة وأكثرها فظاعة ووحشية، لأنها جريمة لم تستهدف رجلاً كباقي الرجال، إنما استهدفت القيادة الإسلامية الراشدة.

واستهدفت كذلك اغتيال رسالته، وتاريخه، وحضارته، وأمه كلها تتمثل في شخص علي أمير المؤمنين (عليه السلام).

وبهذا خسرت الأمة الإسلامية مسيرة وحضارة، وأروع فرصة وأطهرها في حياتها بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولقد بقي الإمام (عليه السلام) يعاني من علته ثلاثة أيام، عهد خلالها بالإمامة إلى ولده الحسن السبط (عليه السلام) ليمارس بعده مسؤولياته في قيادة الأمة الفكرية والاجتماعية.

وكان (عليه السلام) طوال الأيام الثلاثة - كما كان طول حياته - لهجا بذكر الله، والثناء عليه والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، كما كان يصدر الوصية تلو الوصية، والتوجيه الحكيم إثر التوجيه، مرشداً للخير، دالاً على المعروف، محدداً سبل الهدى، مبيناً طريق النجاة، داعياً لإقامة حدود الله تعالى وحفظها، محذراً من الهوى والنكوص عن حمل الرسالة الإلهية.

وهذه واحدة من وصاياه بهذا الشأن - مخاطباً بها الحسن والحسين سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وأجيال الأمة: «أوصيكم، بتقوى الله، وألا - تبغيا الدنيا وأن بغتكم، ولا تأسفا على شيء منها زوى عنكم، وقولاً بالحق، واعملاً للأجر وكوناً للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

أوصيكم، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنني سمعت جدكم (صلى الله عليه وآله) يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام».

الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم.

الله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم. مازال يوصي بهم، حتى ظننا أنه سيورثهم.

الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

الله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم.

الله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا.

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل التبادل، وإياكم والتدابير والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

ثم قال:

يا بني عبدالمطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: «قتل أمير المؤمنين» ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي.

انظروا إذا أنا مت في ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل، فإن سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور». [١٥٩].

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا الرجل العظيم..

فلقد كانت خسارة الرسالة والأمة بفقده من أفدح الخسائر التي أصيبت بها الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فموت علي (عليه السلام) فقدت الأمة:

بطولة غدت أنشودة للزمان..

وشجاعة ما حلم التاريخ بمثلها..
 وحكمة لا يعلم بعدها إلا الله..
 وطهرًا ما اكتسى به غير الأنبياء..
 وزهدًا في الدنيا ما بلغه إلا المقربون..
 وبلاغه كأنما هي رجع صدى لكتاب الله..
 وفقهاً وعلمًا وتضلعاً بأحكام الرسالة رشحته لأن يكون باب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وآله) ومرجع للأمة الإسلامية في جميع شؤونها.
 فسلام على أمير المؤمنين يوم ولد ويوم قضى شهيداً في محرابه ويوم يبعث حياً..
 والحمد لله رب العالمين

ما وجد لي كذبة في قول ولا خطئة في فعل

توطئة

اشاره

كنا قد تناولنا في القسم الأول من دراستنا هذه لحياة أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) دور رسول الله (صلى الله عليه وآله) في إعداد شخصية الإمام على (عليه السلام) والإشراف المباشر على تشكيل عناصرها، منذ طفولته.. حتى صارت شخصية الإمام (عليه السلام) نسخة ثانية طبق الأصل لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فكراً وعقيدة وسلوكاً فيما عدا الرسالة ومستلزماتها..
 ولقد وصف الإمام (عليه السلام) طبيعة خضوعه لذلك اللون من الإعداد الرسالي وصفاً دقيقاً بقوله «.. وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعتني في حجره، وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطئة في فعل..
 ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لدن إن كان فطميماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم: ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه: اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجه، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله).

فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟

فقال: «هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير وإنك لعل خير..».

[١٦٠].

فهذا النص الكريم إضافة إلى ما حفظه لنا التاريخ من سيرة الإمام (عليه السلام) يجسد لنا بعمق وقوة المدى الذي كان الإمام (عليه السلام) قد حظى به في مضمار الإعداد الرسالي المخطط الذي خصه رسول الله (صلى الله عليه وآله) به. تهيئه له للنهوض بأعباء المرجعية الفكرية والسياسية في الأمة.

وقد بدأ ذلك الإعداد الرسالي من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعل (عليه السلام) منذ نعومة أظفاره فهو ربيبه الذي فتح عينيه

في حجره، وهياً له من فرص التفاعل معه وسلوك نهجه في الحياة ما لم يتوفر لأحد سواه.

وبالإضافة إلى ما كان قد خص به الإمام (عليه السلام) من لدن الرسول (صلى الله عليه وآله) أيام الطفولة والصبا من رعاية وتبين وتربية، الأمر الذي ألمحنا إليه في الحلقة الأولى من هذه الدراسة فإن الإعداد الرسالي للإمام (عليه السلام) منذ الدعوة المباركة، وحتى آخر ساعة من حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد اتسع مداراً وازداد شمولاً وأصبح أكثر تركيزاً.

والشواهد من حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) متظاهرة في هذا المضمرة: فضلاً عن حرص الإمام (عليه السلام) على الاقتداء به بأقصى درجات الاقتداء وأصدقها وأكثرها أمانة، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يخصصه بفكر الرسالة وحقائقها ومتطلباتها، ويمده بالمزيد من الثقافة الإلهية.

وكان (صلى الله عليه وآله) يختلي بالإمام (عليه السلام) الساعات الكثيرة آناء الليل والنهار ليعمق وعيه لمفاهيم الرسالة ومشاكل المهمة التغييرية التي بدأها رسول الله في الواقع الإنساني، وأساليب العمل من أجل إكمال ما بدأه الرسول (صلى الله عليه وآله).
روى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي (عليه السلام) قال: «كنت إذا سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطيت، وإذا سكت ابتدأني». [١٦١].

وعن ابن عباس عن علي (عليه السلام) قال «كان لي من النبي (صلى الله عليه وآله) مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار».

وعن أبي سعيد الخدري قال: كانت لعلي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخلة لم تكن لأحد من الناس».

وعن عبد الله بن يحيى عن علي (عليه السلام) قال «كنت أدخل على نبي الله (صلى الله عليه وآله) كل ليلة، فإن كان يصلي سبح، فدخلت، وإن لم يكن يصلي إذن لي فدخلت». [١٦٢].

وعن أم سلمة قالت «والذي تحلف به أم سلمة أن أقرب الناس عهداً برسول الله (صلى الله عليه وآله) علي (عليه السلام).. لما كان غدوة قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأرسل إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) - قالت - «وأظنه بعثه في حاجة» فجعل يقول: جاء علي؟ - ثلاث مرات - فجاء قبل طلوع الفجر فلما أن جاء عرفنا أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت وكنا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشة، وكنت في آخر من خرج من البيت، ثم جلست من وراء الباب، فكنت أدناهم إلى الباب، فأكب عليه علي (عليه السلام)، فكان آخر الناس به عهداً، فجعل يساره ويناجيه». [١٦٣].

ولقد كانت حصيلة ذلك الإعداد الرسالي الخاص من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن رشحت الرسالة الإلهية الإمام علياً (عليه السلام) لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الإسلامية.

وقد عبر الإسلام الحنيف عن ذلك الترشيح بشتى الوسائل التعبيرية المباشرة، مجسداً مؤهلات علي (عليه السلام) لأمامة الأمة المسلمة تارة، ومعلناً تارة أخرى إسناد الإمامة له رسمياً:

فضائل علي من حديث رسول الله

وهذه بعض مؤهلات الإمام (عليه السلام) كما تطرحها النصوص الصحيحة:

١- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «مثل علي فيكم كمثال الكعبة..» [١٦٤] فحيث توحد الكعبة وجهة الأمة عند ساعات الوقوف بين يدي الله تعالى في الصلاة أو أداء شعائر الحج والعمرة، كذلك يفعل التزام علي (عليه السلام) والأخذ عنه في دنيا المسلمين.

٢- والإمام (عليه السلام) هو الصراط المستقيم الذي تستلهم الأمة منه العلم الإلهي ومعارف التشريع بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) دون سواه من الناس:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرست به من بعدى، حبه إيمان، وبغضه نفاق..». [١٦٥].

وقال (صلى الله عليه وآله) «أنا مدينة العلم وعلي بابها..». [١٦٦].

- ٣- وأن علياً كرسول الله (صلى الله عليه وآله) في إقامة العدل بين الناس فكفه ككفه (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا أبا بكر كفى وكف على في العدل سواء». [١٦٧].
- ٤- ويصف الرسول علياً (عليه السلام) بأنه كنفسه، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن عبدالله بن حنطب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لوفد ثقيف - حين جاؤوه - «لأسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفسى ليضربن أعناقكم وليسين ذرايكم، وليأخذن أموالكم - فالتفت إلى علي وأخذيده - فقال: هو هذا، هو هذا». [١٦٨].
- ٥- وأن الإمام (عليه السلام) أدرى المسلمين قاطبة بشؤون القضاء بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أقضى أمتي علي» [١٦٩] وهو إشارة من الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى أن الإمام علي (عليه السلام) أقدر من سواه على إدارة شؤون الأمة وحسم ما يشجر في حياتها العملية.
- ٦- وقال المصطفى (صلى الله عليه وآله) «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامة». [١٧٠].
- ٧- وحيث أن علياً (عليه السلام) صنو الحق الذي هدى الله عباده إليه، فلا يفترق أحدهما عن الآخر، فقد دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمه لسلوك منهجه والاندماج بخطه لينقذها من الزيغ، ولكي لا تتبع السبل فتضل عن سبيل الله تعالى قال (صلى الله عليه وآله): «ستكون من بعدى فتنه، فإذا كان ذلك، فالزموا علي ابن أبي طالب، إنه أول من يراني، وأول من يصفحني يوم القيامة، وهو مني في السماء العليا، وهو الفاروق بين الحق والباطل». [١٧١].
- ٨- وحول إيمان علي (عليه السلام) ومداه يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لو أن السماوات والأرض موضوعتان في كفة وإيمان علي في كفة لرجح إيمان علي (عليه السلام)». [١٧٢].
- هذه بعض مؤهلات علي (عليه السلام) كما بينها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

نصوص الإمامة

أما النصوص التي تسند إليه أمر إمامة الأمة فكرياً وسياسياً بشكل صريح فنذكر منها.

١- آية الولاية

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون). (المائدة: ٥٥ ج ٥٦)

فقد ذكر المفسرون أن آية الولاية هذه قد نزلت في علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، حيث تؤكد بلا أدنى شك أنه يجب على الأمة الإسلامية الالتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً وسياسياً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولقد نزلت هذه الآية الكريمة في علي (عليه السلام) كما روى ذلك جمع من الثقات من المحدثين والمفسرين - لحد الاستفاضة - وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة أن سائلاً دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يسأل المسلمين المعونة فأشار الإمام (عليه السلام) إلى إصبه وهو راع فانتزع السائل خاتم الإمام من إصبه وتصدق الإمام به وهو راع فنزلت فيه هذه الآية. [١٧٣].

٢- خطبة الغدير التي ألقاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع بعد أدائه مراسيم الحج الأكبر.

فعن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) سنته التي حج فيها، فنزل في بعض الطريق فأمر:

الصلاة جامعة فأخذ بيد علي، فقال: «أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»

قال: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): «أأست أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى.

قال (صلى الله عليه وآله): «فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه».[١٧٤].
وفى لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».[١٧٥].

٣- وعن أم سلمة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله اختار لكل نبي وصياً، وعلى وصى فى عترتى وأهل بيتى وأمتى بعدى».[١٧٦].
هذه بعض النصوص الإسلامية الصحيحة التى أسندت أمر المرجعية الفكرية والسياسية لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) ولمن يريد المزيد من تتبع نصوص الإمامة مراجعة المصادر المختصة بالموضوع.[١٧٧].

شخصية على من خلال عناصرها الأساسية

راجع القسم الأول من هذه الدراسة التى بين يديك @. تلك النصوص التى تكشف بقوة عما لعلى (عليه السلام) من مكانة فى دنيا الإسلام.
فهو: المطهر من الرجس، وهارون الأئمة، والذى كفه ككف النبى المصطفى، فى العدل، وهو رفيق الحق لا ينفك أحدهما من الآخر وهو باب العلم الإلهى، وفاروق الأئمة [١٧٨] و... و.. الخ.
وكل هذه الأوسمة التى زين بها الإسلام صدر على (عليه السلام) كانت ذات مداليل عملية فى دنيا الواقع فى حياة على (عليه السلام).
فهذه الصفات السامية جاءت ترجمة لواقع صار إليه الإمام (عليه السلام) كثمرة للإعداد الرسمى له منذ نعومة أظفاره حتى آخر يوم من أيام المصطفى (صلى الله عليه وآله).
ولعلنا لا ندرك أهمية تلك الأوسمة التى زين بها صدر الإمام (عليه السلام) ما لم نسلط بعضاً من الضوء على المقومات العامة لشخصيته سلام الله عليه فى هذه الصفحات:

علاقة الإمام على بالله تعالى

سبق أن أشرنا فى حديثنا عن شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أن علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى، ليست محدودة فى إحدى زوايا حياته أبداً، وإنما هى كما حدد الله سبحانه أبعادها لعباده من خلال شريعته التى ارتضى لهم: تجرد كامل للعزیز المتعال عز وجل بكل خلجات النفس، وبكل حركة فى الحياة: فى الصلاة والصيام والحج والاعتكاف، بشعائر التعبد والعلاقات الأسرية والاجتماعية عامة بالحكم والقضاء بالمحيا والممات وما بعد الموت.[١٧٩].
وقد جسد القرآن الكريم حجم العلاقة بين العبد وربّه الأعلى بقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ١٦٢).

على أن شعائر الإسلام الكبرى: كالصلاة والصوم والحج وسواها وإن كانت جزءاً من هيكل العبودية لله تعالى التى تشمل الحياة الإنسانية كلها. إلا أن هذه الشعائر تختص بسمات خاصة «توقيفية» ككيفية الأداء والوقت والعدد، فهى فى هذه المجالات محدودة من قبل الله تبارك وتعالى فلا مجال فيها لتبديل أو تحوير أو نقص أو زيادة.

ثم إنها تمتاز فى كونها وقفات خالصة لله سبحانه ليس فيها غايات أخرى غير رضوان الله والاستجابة لأمره، ومن أجل ذلك تفقد هذه الفرائض طابعها العبادى إذا دخل إطارها رياء أو نحوه.

وهى ميزة لا تتحقق فى أمور الحياة الإنسانية الأخرى وإن كانت سابحة فى إطار من العبودية لله تعالى.
فالزواج والنشاط الاقتصادى مثلاً ونحوهما من العقود وإن كانت شريعة الله تعالى تضعها فى مسار العبودية لله، والمرء من خلالها يؤدى

عبادة إذا هو التزم بأحكام الشريعة الإسلامية في تحديد وجهتها وأبعادها ومستلزماتها إلا أنها تبقى حاملة لأغراض أخرى فالزواج مثلاً إن كان يحقق غاية إسلامية من ناحية تحصين الفرد المسلم عن الوقوع في المحرم، حتى أن الإسلام يعتبر عملية الزواج من لدن المسلم إحرازاً لنصف الدين - كما في الحديث الشريف - كما أن الالتزام بأحكام الشريعة الخاصة في حقول التعامل بين الزوجين ونحوها يعتبر أمراً مفروضاً على المؤمنين..

أقول إلى جانب هذه الأمور التي ترافق عملية الزواج، فإن الميل يبقى خلفه أساسية من خلفيات حمل الفرد على تعاطيه. وهكذا تظهر خلفيات أخرى غير الخلفية العبادية في مثل هذه الأمور..

ومن هنا نرى أن أمر الزواج والنشاطات الاقتصادية في مثلنا أمور توجد في كل مجتمع في الماضي والحاضر، قبل عصر التنزيل وبعده بالنظر لارتكازها على حاجات طبيعية لدى الكائن الإنساني، ومهمة شريعة الله تعالى تركز على إضفاء الصبغة الشرعية عليها بعد تهذيبها وتحديد مسارها ووضع مخطط إسلامي لصوغها وفقاً لمتطلبات الفطرة البشرية.

وبناء على هذا التحديد لطبيعة علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى فنستعرض علاقة الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام) بالله تعالى من خلال الفرائض والسنن الإسلامية.

شواهد من عبادة أمير المؤمنين

إشاره

كحصيله للإعداد الرسالي الذي حظى به الإمام على من لدن أستاذه الرسول (صلى الله عليه وآله) - الأمر الذي تناولناه في مدخل هذه الرسالة - فقد طبعت شخصية الإمام على (عليه السلام) بشخصية المصطفى (صلى الله عليه وآله) في جميع مقوماتها: عبادة وفكراً ومواقف.

يسلك سبيله، يقتفى سنته ويقفو أثره، ومن أجدر بتجسيد سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) كامله في دنيا الواقع سوى على (عليه السلام)؟ الذي صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) شخصيته وشكل جميع عناصرها وطبعها بالطابع الإلهي منذ نعومة أظفاره.. وإذ نعقد هذا الفصل للحديث عن عبادة الإمام (عليه السلام) ووسائل تعلقه بالله سبحانه، فنعرض شواهد منها، لندرك السمو الشاهق الذي بلغه الإمام (عليه السلام) في مضمار الانشداد إلى الله واستلهام سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) المطهرة في هذا المضمار:

صلاة و ضراعة

فكثره تعاذه لأمر الصلاة والتضرع إلى الله سبحانه تعالى يشير عروء بن الزبير في حديث له عن أبي الدرداء:

قال: «شهدت على بن أبي طالب بشويحات [١٨٠] النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات [١٨١] النخل، فافتقدته، وبعد عن مكانه، فقلت الحق بمنزله فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي، وهو يقول:

«إلهي كم من موبقة حملت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك.

إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك».

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو على بن أبي طالب (عليه السلام) بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغامر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال: «إلهي أفكر في عفوك، فتهون على خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم على بليتي».

ثم قال «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئه أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عسيرته، ولا تنفعه قبيلته

ولا يرحمه الملائ إذا أذن فيه بالنداء».

ثم قال «آه من نار تنضج الأكباد والكلبي، آه من نار نزاعة للشوى، آه من لهبات لظى».

قال أبو الدرداء: ثم أمعن في البكاء، فلم أسمع له حسا، ولا حركة.

فقلت:

غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، فأتيته، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته، فلم يتحرك، وزويته فلم ينزو.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله على بن أبي طالب، فأتيته منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقال فاطمة (عليها السلام): يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟

فأخبرتها الخبر.

فقلت: «هي والله - يا أبا الدرداء - الغشية التي تأخذه من خشية الله»

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق، ونظر إلى وأنا أبكي فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟

فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيته، ودعى بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتنى ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ،

فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء ورفضني أهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية».

فقال أبو الدرداء: «فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله» (صلى الله عليه وآله). [١٨٢].

هذا شاهد من شواهد تعلق الإمام (عليه السلام) بالله تعالى وشدة انشداده إليه ورهبته منه.

ويبدو أن هذا ديدن على (عليه السلام) كما يتجلى من قول الزهراء (عليها السلام) لأبي الدرداء: «هي والله الغشية التي تأخذه من خشية

الله».

وهذه مزيئة عند التوجه إلى الله تعالى في صلاته وضراعتة، الأمر الذي ألفه أهل البيت (عليهم السلام) في على (عليه السلام).

ومن أجل ذلك لم يفزعوا حين أنبأهم أبو الدرداء بموته - كما ظن هو - بل استفسروا عما رأى، فأعلمته الصديقة (عليها السلام) أن ما

رآه هو المألوف من على (عليه السلام) كل آن حين تأخذه الغشية لله تبارك وتعالى أثناء قيام الليل.

ولكثره قيامه للعبادة ليلاً يحدثنا عبد الأعلى عن نوف البكالي..

قال: «بت ليلة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان يصلي الليل كله، ويخرج ساعة بعد ساعة، فينظر إلى السماء، ويتلو القرآن، فمر بي

بعد هدوء من الليل فقال: يا نوف أراقد أنت أم راقق؟

قلت: بل راقق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين.

قال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً، وترايبها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن

دثاراً، والدعاء شعاراً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم...». [١٨٣].

وهكذا كان على (عليه السلام) في شدة تعلقه بالله، وعظيم تمسكه بمنهج الأنبياء (عليهم السلام). أنه ترجمه صادقة لعبادة محمد (صلى

الله عليه وآله) وزهد المسيح (عليه السلام).

أرأيت كيف يندك وجوده على عتبة الخضوع لله والاستكانة له وطلب رضوانه؟

وحول التزامه بقيام صلاة الليل طول عمره الشريف يروى لنا أبو يعلى - في المسند - عنه (عليه السلام) قال: «ما تركت صلاة الليل منذ

سمعت قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صلاة الليل نور..

فقال ابن الكواء: ولا ليلة الهرير؟!

قال (عليه السلام): ولا ليلة الهرير. [١٨٤].

توجه و رهبة

ولعظيم إقباله على الله تعالى يشير القشيري في تفسيره:

أنه كان (عليه السلام) إذا حضر وقت الصلاة تلون وتزلزل. فقليل له: ما لك؟

فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان على ضعفه، فلا أدرى أحسن إذا حملت أم لا. [١٨٥].

ولع بالصلاة

ولكثره صلاته ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال:

كان علي بن الحسين (عليه السلام) يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة، كما كان يفعل أمير المؤمنين (عليه السلام). [١٨٦].
وعن سليمان بن المغيرة عن أمه قالت: سألت أم سعيد سريته علي (عليه السلام) عن صلاة علي (عليه السلام) في شهر رمضان. فقالت: رمضان وشوال سواء، يحيى الليل كله. [١٨٧].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إن علياً في آخر عمره يصلي في كل يوم ولييلة ألف ركعة». [١٨٨].

عبادة الشاكرين

ولقد عظم المعبود عز وجل في نفس الإمام (عليه السلام) فصارت عبادته تعبيراً عن الحب له والشوق إليه، واستشعار أهليته للعبادة دون سواه، ومن أجل ذلك كان علي (عليه السلام) لا يعبد الله خوفاً من عذابه، ولا طمعاً في جنته ولا فيما أعده من نعيم للمتقين، وإنما سما الإمام (عليه السلام) في علاقته بالله تعالى إلى أعلى الدرجات أسوة بأستاذه الرسول (صلى الله عليه وآله).

وقد كشف الإمام (عليه السلام) عن جوهر علاقته بالله تعالى وطبيعتها بقوله:

«إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكن وجدت لك أهلاً للعبادة فعبدتك». [١٨٩].

فأعظم به من يقين، وأكرم به من إيمان!!

ولقد حدد الإمام (عليه السلام) ألوان العبادة في كلمته خالدة:

«أن قوماً عبدوا الله رغبةً، فتلك عبادة التجار، وأن قوماً عبدوا الله رهبةً، فتلك عبادة العبيد، وأن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار». [١٩٠].

وكانت عبادته (عليه السلام) من النوع الأخير، حيث تصدر كحصيله للشعور بأهلية المعبود للعبادة واستحقاقه لها.

أما إيقاف العبادة على حصول الثواب فحسب، فهي عبادة من وصفهم الإمام (عليه السلام) بالتجار، الذين يبتغون الثمن وينتظرون التعويض..

وشتان بين هدف الشاكرين، وهدف التجار في ميزان الله تعالى وحسابه.

صلاة الرسول

ولقد كانت صلاة علي (عليه السلام) -أسوة بسائر نشاطاته- كصلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كيفية الأداء والخشوع والانشداد والتعلق بالله تعالى فعن مطرف بن عبد الله قال: صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب.. فلما انصرفنا أخذ عمران بيد فقال: لقد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد (صلى الله عليه وآله). [١٩١].

تعاهدوا أمر الصلاة

وإلى جانب تعاهد الإمام (عليه السلام) لأمر الصلاة فقد كان كثيراً ما يوصي أتباعه بتعاهد أمرها، وأدائها في أوقاتها وتعريفهم بأهميتها وأثرها في شخصية المسلم «تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها فإنها - كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً -» ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا «ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين».

وإنها لتحت الذنوب حتّ [١٩٢] الورق، وتطلقها إطلاق الريق [١٩٣] وشبهها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالحمّة، [١٩٤] تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلّة خمسّة مرات، فما عسى أن يبقى عليه من درن؟ [١٩٥].

وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينّة متاع، ولا قرّة عين من ولد ولا مال.

يقول الله سبحانه:

(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) (النور: ٣٧).

«فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه». [١٩٦].

المنهج العبادي في خطوته الأساسية

اشاره

والى منهجه العبادي الملتزم أشار الإمام الباقر (عليه السلام) بقوله:

«... وما ورد عليه أمران قط كلاهما لله رضى إلا أخذ بأشدهما على بدنه». [١٩٧].

وقد ورد عن الإمام على (عليه السلام) ذاته «.. وإنما هي نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنه يوم الخوف الأكبر». [١٩٨].

وفى حديث ضرار بن ضمرة لمعاوية بن أبى سفيان حول شخصيّه الإمام (عليه السلام) تجسيد لهذه الحقيقة، فمما جاء فى حديثه «.. كان والله صواماً بالنهار قواماً بالليل..».

توكل صادق و يقين راسخ

وحيث أن التوكل على الله تعالى زاد المتقين، واليقين بالله شعار المؤمنين الصادقين يملأ قلوبهم بالثقة والاطمئنان والعزة والارتفاع على جميع عقبات الحياة.

فقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) قائداً لأهل اليقين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويعسوباً للمتوكلين.

وهذه سيرته تتحفنا بالعديد من الشواهد فى هذا المضمار: فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: كان لعلى (عليه السلام) غلام اسمه قنبر، وكان يحب علياً حباً شديداً، فإذا خرج على (عليه السلام) خرج على إثره بالسيف فرآه ذات ليلة، فقال له: يا قنبر مالك؟ قال: جئت لأمشى خلفك، فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك.

قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسنى أم من أهل الأرض؟

قال: لا بل من أهل الأرض.

قال (عليه السلام): إن أهل الأرض لا يستطيعون بى شيئاً إلا بإذن الله عز وجل فارجع. فرجع. [١٩٩].

وعن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «إن أمير المؤمنين جلس إلى حائط يقضى بين الناس.

فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنه معور، فقال أمير المؤمنين: حراس أمراً أجله.

فلما قام أمير المؤمنين (عليه السلام) سقط الحائط.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) مما يفعل هذا وأشباهه، وهذا اليقين». [٢٠٠].

وعن سعيد بن قيس الحمداني قال «نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسى فإذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام).

فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟

فقال: نعم يا سعيد بن قيس، إنه ليس من عبد إلا وله من الله عز وجل حافظ وواقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء». [٢٠١].

هذا هو علي (عليه السلام) في قوة يقينه بالله، وشدة توكله عليه سبحانه.

مصاديق من زهد الإمام

ولقد كان الزهد معلماً بارزاً من معالم شخصية الإمام (عليه السلام)، وسمه مميزة زينه الله تعالى به فعن عمار بن ياسر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلّي. «إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها، هي زينة الأبرار عند الله: الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ - تعيب - من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهبك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً». [٢٠٢].

وقد كان من شواهد تلك الصفة التي حباه الله تعالى بها:

أن زهد الإمام (عليه السلام) عن كل لذات الحياة وزينتها وتوجه بكل وجوده نحو الآخرة، وعاش عيشة المساكين وأهل المترية من رعيته.

لقد زهد الإمام (عليه السلام) بالدنيا وزخرفتها زهداً تاماً وصادقاً:

زهد في المال والسلطان، وكل ما يطمع به الطامعون.

فلقد عاش في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء من الأمه، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأته أو يطحنه بنفسه قبل خلافته وبعدها، حيث كانت تجيء الأموال إلى خزائن الدولة التي كان يضطلع بقيادتها من شرق الأرض وغربها. وغالباً ما كان يلبس أبسط أنواع الثياب، فكان ثمن قميصه ثلاثة دراهم.

وقد بقي ملتزماً بخطه في الزهد طوال حياته، فقد رفض أن يسكن القصر الذي كان معداً له في الكوفة حرصاً منه على التأسى بالمساكين. [٢٠٣].

وهذه بعض المصاديق كما تروى سيرته العطرة:

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «كان أمير المؤمنين أشبه الناس طعمه برسول الله (صلى الله عليه وآله) يأكل الخبز والخل والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم». [٢٠٤].

وعن الباقر (عليه السلام) قال: «ولقد ولي خمس سنين وما وضع آجرة على آجرة ولا لبنه على لبنه، ولا أقطع قطعاً ولا أورث ييلاً ولا حمراً». [٢٠٥].

وعن عمرو بن عبد العزيز قال «ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أزهد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنه على لبنه ولا قصبه على قصبه». [٢٠٦].

وعن الأحنف بن قيس قال: «دخلت على معاوية، فقدم إلى من الحلو والحامض، ما كثر تعجبي منه، ثم قال: قدموا ذاك اللون، فقدموا لوناً ما أدري ما هو..!

فقلت: ما هذا؟

فقال: مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر!!

قال الأحنف: فبكيت.

فقال معاوية: ما يبكيك؟

فقلت: لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمع به أنت ولا غيرك!

قال معاوية: وكيف؟

قلت: دخلت عليه ليلة عند إفطاره..

فقال لي: قم فتعش مع الحسن والحسين، ثم قام إلى الصلاة، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثم ختمه.

فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا الشعير.

فقال: لم أختمه بخلاً، ولكن خفت أن ييسه الحسن والحسين بسمن أو أهالة!

فقلت: أحرام هو؟

قال: «لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم في الأكل واللباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدر على ليراهم الفقير،

فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغنى فيزداد شكراً وتواضعاً». [٢٠٧].

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي (عليه السلام) بالكوفة، وبين يديه رغيف من شعير، وقدر من لبن، والرغيف يابس، فشق

على ذلك.

فقلت: لجارية له يقال لها فضة: ألا ترحمين هذا الشيخ، وتنخلين له هذا الشعير.

فقلت: إنه عهد إلينا ألا ننخل له طعاماً قط..!

فالتفت الإمام إلي.

وقال: ما تقول لها يا ابن غفلة، فأخبرته..

وقلت: يا أمير المؤمنين ارفق بنفسك.

فقال لي: ويحك يا سويد؟ ما شبع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهله من خبز بر ثلاثاً تبعاً حتى لقي الله، ولا نخل له طعام قط..

[٢٠٨].

وعن سفیان الثوري عن عمرو بن قيس قال: روى علي علي (عليه السلام) أزار مرقوع، فعوتب في ذلك؟

فقال: يخشع له القلب ويقتدى به المؤمن. [٢٠٩].

وعن الغزالي يقول: «كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه، ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل ولا

يجد غيره». [٢١٠].

هذا هو علي في شدة زهده ورغبته عن الدنيا وزخارفها، وفي عظيم اقتدائه برسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي مواساته لأهل المتربة

من أمته (صلى الله عليه وآله)، فهل حدثك التاريخ عن زعيم كعلي (عليه السلام)؟ تجبى إليه الأموال من الشرق والغرب، وعاصمته

الكوفة- تقع في أخصب أرض الله وأكثرها غنى يومذاك، بيد أنه يعيش أبسط عيش مواسياً لأقل الناس حظاً في العيش في هذه

الحياة.. يأكل خبز الشعير دون أن يخرج نخالته.. ويكتفى بقميص واحد لا يجد غيره عند الغسل.. ويحرم على نفسه الأكل من بيت

المال.. ويرقع مدرعته حتى يستحي من راقعها. [٢١١] مجسداً بذلك أرفع شعائر الزاهدين «.. فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا

ادخرت من غنائمها وفرّاً، ولا أعددت لبالي ثوب طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني

أوهى وأوهن من عصفه مقرة». [٢١٢].

ولا نريد أن نذهب بعيداً في طرح الشواهد على تعاهد الإمام علي (عليه السلام) لأمر الصدقة، قبل أن نستقي من القرآن الكريم نماذج من صدقة الإمام (عليه السلام) عطرته آيات الله تعالى بالثناء الجميل، ورسمت أبعاد الثواب الإلهي العظيم الذي لا يعلم مداه غير الله الذي أعده تبارك وتعالى لأmir المؤمنين (عليه السلام):

ففي حادثة إطعام علي (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) للمسكين واليتيم والأسير على مدى ثلاثة أيام وإيثارهم لهم على أنفسهم، واكتفائهم بالماء وهم في أيام صوم متتالية.. تنزلت آيات الله تعالى مسجلة أعظم مآثر علي (عليه السلام) في ضمير الوجود حيث ستبقى ترددها الآفاق والألسنة وصفحات المجد ما شاء الله تعالى.

(ويطعمون الطعام على حبة مسكينا وييتما وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا. إنا نخاف من ربنا يوما عبوساً قمطريراً. فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) (الإنسان: ٨ ج ١٢).

وليس المهم في الأمر حجم ما قدمه الإمام (عليه السلام) لأولئك المحتاجين، فإن الكثير من الناس يبذلون أضعاف ذلك. ولكن شتان بين من ينفق لوجه الله خالصاً دون شائبة، وبين من ينفق من أجل غرض دنيوي أو جاه أو ذكر يشاع بين الناس. كما أنه شتان بين من ينفق كل ما لديه وهو أحوج ما يكون إليه وبين من ينفق بعض ما لديه..

وهكذا يختلف التقويم عند الله تعالى بين ذا وذاك!

وفي حادثة تصدق علي (عليه السلام) بخاتمه على مسكين استبدت به الحاجة، فطاف على الناس فلم يجد من يسد خلته، فأشار إليه علي (عليه السلام) وهو يصلي في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنحه خاتماً في يده.

فنزل القرآن الكريم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) مبيناً فضل ما أقدم عليه الإمام (عليه السلام) واستعمل القرآن المناسبة لإرشاد الأمة إلى أن علياً (عليه السلام) مرجعها الفكري والعملي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (المائدة: ٥٥ ج ٦٦).

وهذه الآية الكريمة من أكثر النصوص دلالة على أن العمل الصالح في منظور الله تبارك وتعالى إنما هو بدوافعه لا بحجم منافعه. فليس المهم أن تعطى كثيراً، ولكن الأساس في الأمر نية العطاء فالتقييم الرباني إنما يدور مدار النية حيث تدور، فكلما اقتربت من الله تعالى وابتغيت رضوانه كان ثوابك أعظم وأجل..

ومن المناسب أن نطرح إضافة إلى ذلك مصاديق من سيرة الإمام (عليه السلام) في هذا المضمار مما روته كتب التاريخ. فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال «كان أمير المؤمنين يضرب بالمر - المسحاة - ويستخرج الأرضين، وأنه أعتق ألف مملوك من كديده». [٢١٣].

وعن أيوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «قسم نبي الله الفيء، فأصاب علياً أرضاً، فاحتفر فيها عيناً، فخرج ماء ينبع كهية عتق البعير، فسماهما ينبع، فجاء البشير يبشر. فقال (عليه السلام): بشر الوارث هي صدقة بتة بتلاء في حجيج بيت الله، وعابري سبيل الله لا تباع، ولا توهب ولا تورث فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً». [٢١٤].

وعن أحمد بن حنبل في الفضائل: أنه كانت غلة على أربعين ألف دينار فجعلها صدقة». [٢١٥].

والحديث عن حرص الإمام (عليه السلام) على تعاهد أمر الصدقة في سبيل الله تعالى يذكرنا بالنفس السخية التي يمتاز بها أمير المؤمنين (عليه السلام).

فكثرة أدائه للصدقة وشدة بذله لها وإن كان يعكس صورة صادقة عن جود الإمام (عليه السلام) وسخائه، إلا أن سيرته العطرة تكشف إلى جانب ذلك وجهاً آخر من شخصية الإمام.

فقد كان (عليه السلام) أسخى من الغيث على الأمة التي عايشها لا أقصد بهذا جوده بنفسه من أجل حفظ الرسالة ومسيره الإسلام التاريخية، ذاك الذى يتجلى عبر البطولات التى أبداه (عليه السلام) فى حروب الإسلام كلها، فحديث كهذا.. يتطلب بمفرده سفيراً كاملاً، وإنما نقصد ما يتعلق بالسخاء بالمال. [٢١٦].

فلقد اعترف بجود الإمام (عليه السلام) وسخائه أشد الناس عداوة له: معاوية بن أبى سفيان الذى ما برح ينسج الأكاذيب والافتراءات لتشويه سمعة الإمام (عليه السلام) غير أنه لم يستطع أن ينكر فضيلة الجود عند على (عليه السلام) فقد قال له يوماً مخفى ابن مخفى الضبى: جئتكم من عند أبخل الناس فقال ابن أبى سفيان: ويحك كيف تقول أنه أبخل الناس، لو ملك بيتاً من تبر - ذهب - وبيتاً من تبن لأنفذ تبره قبل تبنه. [٢١٧].

ويقول الشعبى يصف الإمام (عليه السلام): كان أسخى الناس، كان على الخلق الذى يحبه الله: السخاء والجود، ما قال لا لسائل قط. [٢١٨].

الجهاد فى سبيل الله

وحياة على أمير المؤمنين (عليه السلام) كلها جهاد فى سبيل الله تعالى فى مرحلة الدعوة، وبعد قيام الدولة الإسلامية، وإذا كان قد وقى الرسول (صلى الله عليه وآله) بنفسه وفداه بوجوده وتعرض لأخطر تأمر جاهلى على حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند ميته على فراشه فى ليلة الهجرة المباركة، من أجل أن يصرف عنه شر عتاة الجاهلية. فإن علياً قد تحولت حياته بعد الهجرة إلى المدينة المنورة إلى حلقات متسلسلة من ذلك النوع الجهادى العظيم، فقد كان حامل لواء الزحف الإسلامى فى كل غزوات أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وطليعه المجاهدين فى ساحات الجهاد، وكلما حزبت الأمور وحمل الوطيس انتدبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكشف زحف العدو عن حياض المسلمين..

وكانت كل مواقفه الجهادية من النوع المصيرى الذى يحمى الرسالة ويكشف عنها خطر التصفية المحقق والإجهاز الخطير على وجودها، تجلى ذلك فى بدر حين صفى الكثير من رؤوس الوثنيين وملأ بها ساحة المعركة.

وفى «أحد» حين أطبق جيش الضلال على معسكر الإيمان وكانت الغلبة للعدو، نهض الإمام (عليه السلام) بدور عرقلة تقدمهم حيث بادر إلى تصفية حملة الألوية من بنى عبددار واحداً تلو الآخر.

وفى غزوة الأحزاب حين بلغت القلوب الحناجر وبلغ الضيق والهلع بالمسلمين كل مبلغ نهض الإمام بالأمر وأرهب العدو وأعاد للمسلمين الثقة بالنفس حين قتل أبرز قوادهم عمرو بن ود العامرى.

حيث كان قتل العامرى حداً فاصلاً بين المعسكرين إذ تلاه انهزام جيش الأحزاب مع ما امتاز به من ضخامة فى العدد والعدة..

وعلى (عليه السلام) هو الذى اقتحم حصون خيبر ودخل عليهم عنوة، ففتح الله على يديه حصون اليهود الرهيبة.

وكم سطر لك من بطولات على (عليه السلام) وصفحات جهاده المشرقة التى تشع بالمجد والعزة والإخلاص؟ [٢١٩].

فدونك تاريخ الإسلام فى عصره الأول: فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأنعم النظر فى صفحاته كى تحدثك بفضل على (عليه السلام) على الإسلام رسالة، وأمة، وتاريخاً.

على أن الجانب العبادى فى جهاد على (عليه السلام) ليس فى حجم البطولات وعدد المعارك التى خاض غمارها، فحسب وإنما فى صدق النية وحجم الإخلاص الذى امتلأ به قلب على (عليه السلام) وهو يخوض تلك الحروب ببسالة فائقة وشجاعة نادرة وصمود لا يرد.

ومن أجل ذلك كان القرآن الكريم يشنى على تلك الروح التى كان يحملها أمير المؤمنين عبر كفاحه من أجل إعلاء كلمة الله فى الأرض.

فها هو القرآن الكريم يثنى على على (عليه السلام) يوم فدى بنفسه رسول الله (صلى الله عليه وآله) «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاء الله» (البقرة) ٢٠٧ ويكشف بعمق عن صدق نية الإمام (عليه السلام). [٢٢٠].

وها هو كتاب الله العزيز يقطع بأن جهاد على (عليه السلام) وبطولاته وتضحياته كانت من أجل الله وإعلاء كلمته في دنيا الناس، ولا يمكن أن تقرر بأى لون من ألوان العمل الآخر. فبسبب الثمن الباهظ الذى يتطلبه الجهاد، وبسبب الدافع الإيماني المخلص الذى لا تشوبه شائبة راحت آيات الله تعالى تحدد الموقع الرفيع الذى يحتله على (عليه السلام) فى دنيا المتقين.

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين) (التوبة: ١٠٩).

فعلى أثر حوار تفاخرى بين طلحة بن شيبه والعباس بن عبدالمطلب، قال فيه طلحة: أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي. فقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليها!

وفيما كانا يتفاخران حرَّ الإمام (عليه السلام) فافتخر عليهما بقوله: «لقد صليت قبل الناس أنا صاحب الجهاد» فنزل قول الله تعالى فى ذلك كاشفاً عن المستوى العظيم الذى تبوأه على (عليه السلام) من ناحية عمله الإسلامى: ضخامة وإخلاصاً، [٢٢١] بعداً وجوهراً.

الاخلاق الاجتماعية

اشاره

بمقدور المتتبع أن يتخذ من وصف ضرار بن ضمره لأمر المؤمنين (عليه السلام) منطلقاً للدخول فى عالمه الرحيب.

فقد دخل ضرار على معاوية - أيام استكان الناس وأسلموا لمعاوية القياد - فألح على الرجل أن يصف له علياً (عليه السلام) فتردد ضرار كثيراً، فلما مضى معاوية فى إصراره قال ضرار: أما إذا لابد (فكان والله بعيد المدى، شديد القوى - يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، يستأنس بالليل وظلمته. كان والله غزير الدمعة، كثير الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويتدثنا إذا أتينا، ويأتينا إذا دعونا.

ونحن والله مع قربه منا، ودنوه إلينا لا نكلمه هيبه له، ولا نبتديه لعظمته، فإن تسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه ليله، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل قائماً فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تملل السليم، ويبكى بكاء الحزين، وكأنى أسمعته وهو يقول:

يا دنيا غرى غرى أبى تعرضت أم إلى تشوقت، هيهات، هيهات!! قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطر ك كبير.. آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق». [٢٢٢].

وهذا الوصف للإمام (عليه السلام) على وجازته يكشف بعمق عن الإطار العام لشخصية الإمام (عليه السلام) فى شتى ملامحها فى الحقل الروحي والاجتماعي، فى علاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وكيفية تعامله مع الناس من حوله.

وحيث قد عقدنا هذا الفصل للحديث عن الأخلاق الاجتماعية التى التزم بها (عليه السلام) فى حياته العملية، فإن حديث ضرار يضع فى أيدنا رأس الخيط الذى يوصلنا إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية التى سلكها أمير المؤمنين فى حياته (كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويتدثنا إذا أتينا، ويأتينا إذا دعونا، ونحن والله مع قربه سب ودنوه إلينا لا نكلمه هيبه له، ولا نبتديه لعظمته.. يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله..».

ويبدو أن هذا اللون من علاقة أمير المؤمنين مع قومه إنما كان في أيام حكمه، مما يطرح بين أيدينا تصوراً ناضجاً عن عظمه أمير المؤمنين (عليه السلام) وبلوغه القمة في مدارج الكمال والفضيلة، فمع أن الإمام (عليه السلام) كان يحتل موقع القيادة في دنيا الناس ويبدع أزمه حياتهم الفكرية والاجتماعية، نراه كواحد من عامة الناس، وكأن موقعه ليس في أعلى مركز قيادي فهو يلغى الحواجز والألقاب، ويعامل الأمة كما لو كان واحداً من عامتها بقلب حان، ونفس متواضعة، وحب صادق عميق.. وهي روح لم يألّفها التاريخ الإنساني منذ الآماد الموعلة في القدم حتى اليوم في قيادة غير قيادة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصيه على (عليه السلام)..

وقد وفق الإمام (عليه السلام) توفيقاً عظيماً في قيادة الواعين لأهمية قيادته في دنيا المسلمين على الأقل.

فقد كانت قيادته مبنية على الحب والإجلال معاً فبقدر ما كان يبذل من دفء وده للأمة، كان أتباعه يمنحونه الكثير من الود والتعظيم..

الأمر الذي يذكرنا بسياسة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويطرحها واقعاً حياً في دنيا الناس، [٢٢٣] فالتجربة واحدة في هذا المضممار وسواه، وإن تغير الموقع التاريخي.. ورحم الله صعصعة ابن صوحان حيث يقول في وصفه للإمام (عليه السلام) «كان فينا كأحدنا لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه، مهابة الأسير المربوط للسيايف الواقف على رأسه» [٢٢٤] وتتجلى عظمه الإمام (عليه السلام) في أخلاقه الاجتماعية من خلال المبادئ الآتية:

إشاعة العدل الاجتماعي بين الناس

إشاره

جاءت الخلافة للإمام (عليه السلام) في ظروف بالغة الخطورة والتعقيد، فذوو النفوذ من الناس قد ألفوا الاستئثار واستراحوا إليه، وليس يسيراً أبداً أن يذعنوا لأية محاولة إصلاحية تضر بمصالحهم الذاتية.

ثم إن المطامع قد تنبعت لدى الكثير من الرجال، بعد أن أصبحت الخلافة مغنماً لا مسؤوليه لحماية الشريعة والأمة، ولقد كان الإمام (عليه السلام) مدركاً لحقيقة الموقف بدقائقه وخفائيه بشكل جعله يعتذر عن قبول الخلافة حين أجمعت الأمة على بيعته بعد مقتل الخليفة عثمان قائلاً: «دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة تنكرت...» [٢٢٥] ولكن جماهير المدينة المنورة، وجماهير الثوار من العراق ومصر أصرّوا على استخلافه عليهم، فنزل الإمام عند رغبتهم، ولكن وفقاً لشروطه الخاصة - هو «واعلموا إنني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصنع إلى قول القائل وعتب العاتب» [٢٢٦].

ولقد كانت أولى مهام الإمام (عليه السلام) أن يجسد العدالة الاجتماعية في دنيا الناس ويمنح المنهج الإسلامي فرصة في البناء والتغيير على شتى الأصعدة، فقد (عليه السلام) خططه الإصلاحية، بإلغاء السياسة المالية والاجتماعية والإدارية التي كان معمولاً بها ليوفر الجو المناسب لتطبيق المخطط الإسلامي في العدالة الاجتماعية:

أ- استرجاع الأموال التي تصرف بها بنو أمية من بيت المال.

ب- واستغنى عن كثير من الولاة الذين أساءوا التصرف، وخالفوا أمر الله تعالى، وتخطوا منهجه الأقوام الذي ارتضاه لعباده..

ج- ثم بادر إلى تبني سياسة المساواة في توزيع المال والحقوق، منهياً بذلك دور الطبقة والتمييز والأثرة:

«المال مال الله، يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد» [٢٢٧].

«إلا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققة، إذا منعهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، حرّما ابن أبي طالب حقوقنا!» [٢٢٨].

وتبنى الإمام سياسة العدل الشامل: - في معاملة أفراد الأمة. - وفي منهج الحقوق.

وفي توزيع المسؤوليات.

وكان منهج الإمام (عليه السلام) في العدل لا يناظره إلا منهج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن لم نقل أنه منهج الرسول (صلى الله عليه وآله) بالذات.

فهلهم نضع إلى مناهجه المتبنى في سياسة الأمة من خلال حديثه (عليه السلام). «.. والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الإغلال مصفداً، أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، غاصباً لشيء من الحطام.. والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملته أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلى، ونعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين». [٢٢٩].
«الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له». [٢٣٠].

«وأيام الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامة حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارهاً». [٢٣١].
ولم تكن هذه المبادئ التي يتحدث عنها الإمام (عليه السلام) ذاته، أمنيات وأفكاراً طرحها في دنيا المبادئ والأفكار، وإنما جسدها واقعاً حياً قبل أن يطرحها فكرياً..

وهي خصيصة من خصائص علي (عليه السلام) فالقول عنده يعقب العمل أو يجرى من طبيعته..
ومن أجل ذلك ملائمة الإمام (عليه السلام) دنيا المسلمين قسطاً وعدلاً وحقق انقلاباً في واقع المسلمين على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وفقاً لمقتضيات العدل الإلهي فأعاد بذلك أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صفائها وإشراقها وعدلها الشامل..

فحسبك أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يرتدى القميص المرقوع [٢٣٢] ويبالغ في رقع مدرعته كلما تمزق جانب منها حتى يبلغ الأمر بالإمام (عليه السلام) أن يستحي من راقعها. [٢٣٣].

وكان يخرج إلى السوق لبيع سيفه كي يشتري بثمنه أزراراً [٢٣٤] وهو في علو شأنه وعظمته مركزه الذي يحتل في دنيا المسلمين حيث تجبى إليه الأموال من أقاليم الدولة الإسلامية جميعها، وثروات الدولة تحت تصرفه..
وكان يأكل خبز الشعير بنخالته وكان غالب أدامه اللبن أو الملح والماء..

ولم يكن للإمام (عليه السلام) غير قميص واحد لا يجد غيره عند غسله. [٢٣٥].

ومع شدة زهد الإمام (عليه السلام) في الدنيا، فقد كان حريصاً على توفير الرفاه الاقتصادي للأمة التي اضطلع بقيادتها، فكان يقسم الذهب والفضة بين الناس، ويطعمهم اللحم والخبز [٢٣٦] ويعمل كل ما في وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم. - وكان بيت المال لا يكاد ترد إليه الأموال حتى يبادر الإمام (عليه السلام) إلى توزيعها على الناس، لإعطاء كل ذي حق حقه. - وكان مناهجه في توزيع المال التزام أقصى درجات العدالة..

فها هو يخاطب الزبير وطلحة حينما كبر عليهما مناهج المساواة في العطاء «.. فوالله ما أنا وأجيري هذا إلا بمنزلة واحدة». [٢٣٧].

وها هو سهل بن حنيف يخاطبه: يا أمير قد أعتقت هذا الغلام، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف». [٢٣٨].

ويأتيه عاصم بن ميثم - وكان الإمام (عليه السلام) يقسم أموالاً - فقال: - يا أمير المؤمنين إني شيخ مثقل.

فقال الإمام (عليه السلام):

والله ما هي بكدي ولا بترائي عن والدي، ولكنها أمانة أوعيتها. [٢٣٩].

وجاءه عبدالله بن زمعة - وهو من شيعته - يطلب منه مالاً.

فقال له الإمام (عليه السلام): - إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء المسلمين وجلب أسياهم، فإن شركتهم في حربهم كان

لك أسياهم مثل حظهم، وإلا فجناء أيديهم لا تكون لغير أفواههم. [٢٤٠].

ويدخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال يتولى بعض شؤون المسلمين، فأطفأ الإمام (عليه السلام) السراج وجلس في ضوء القمر، [٢٤١] فالسراج ملك الأمة، فلا يصح أن يستضيء به ابن العاص، وهو في زيارة خاصة للإمام (عليه السلام)!

حرص فريد على أموال الأمة، وسهر دائم على مصلحتها وعمل دائم من أجل إسعادها وهدايتها وإصلاح شأنها.

على أن تعاهد أمر الأمة من لدن علي (عليه السلام) ليس محصوراً في إطار المال وتوزيعه وإنما يمتد لكي يشعر الإنسان بكرامته ويعيد وعيه بحقه في الحياة الحرة الكريمة، ويعلمه أن يتمرد على الظلم والكبت وسلب الإرادة: - «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً». - «أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والإحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله ولا- الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشى في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة». [٢٤٢].

- فلا تكلموني بما تكلم الجابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بين استثقلاً في حق قيل لي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه! فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل. [٢٤٣].

وتمتد ظلال العدالة في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) فيرعى أسواقهم من ناحية المكايل والمعروض من السلع وطبيعة المعاملات فيها، فيخرج كل يوم يتفقد أسواق المسلمين بنفسه فيرشد الضال، ويهدي المقصر إلى طريق الحق، ويأمر بكل معروف، وينهى عن المنكر [...] [٢٤٤].

ولشدة حرص الإمام (عليه السلام) على تطبيق العدالة الإسلامية بأروع صورها في دنيا الناس، وعلى شتى الأصعدة أنه وجد درعه عند رجل نصراني، فوقف معه أمام القاضي ليقاضيه في الأمر.

فقال الإمام (عليه السلام): إنها درعي، ولم أبع، ولم أهب.

فسأل القاضي الرجل النصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟

قال الرجل: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فالتفت القاضي للإمام (عليه السلام): طالباً بينه تشهد أن له الدرع.

فضحك الإمام (عليه السلام) معلناً أنه لا يملك بينه من ذلك النوع. فقضى القاضي بأن الدرع للنصراني، فأخذها ومضى، والإمام ينظر إليه.

إلا أن الرجل عاد وهو يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاض يقضى عليه.. الدرع - والله - درعك يا أمير المؤمنين، وقد كنت كاذباً فيما ادّعت. [٢٤٥].

وحصيلة الأمر أن يعلن الرجل إسلامه ويخلص في الوقوف تحت راية الإمام (عليه السلام) مؤمناً مجاهداً ذائداً عن رسالته الهدى..

وبقدر ما كان الإمام (عليه السلام) حريصاً على تجسيد روح العدالة التي صدع بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لإخراج الإنسان من ظلام الظلم والقهر والكبت، كان حريصاً كذلك على إلزام ولايته وقضاته وقادة جيوشه، وجباة الأموال بالتزام العدل في معاملته الناس، وتحري الحق في الحكم والقضاء وإعطاء الحقوق، وفي جمع المال وحتى في حالات الحرب وسواها..

وصايا للولاة

وهذه بعض وصاياه في هذا المضمرة:

سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما

باعدك من الله يقربك من النار. [٢٤٦].

«أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلِكَ، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده..» [٢٤٧].

و من توجيهاته لجباة الأموال

«.. انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحى، فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض - بالسكينة والوقار - حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخدع بالتحية لهم، ثم تقول:

عباد الله أرسلنى إليكم ولى الله وخليفته لآخذ منكم حق الله فى أموالكم، فهل لله فى أموالكم من حق، فتؤدوه إلى وليه..» [٢٤٨].
«إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً فى درهم خراج، أو تبيع دابة عمل فى درهم، فإنما أمرنا أن نأخذ منه العفو..» [٢٤٩].

و من تعليماته لجيوشه

ولقد كان (عليه السلام) يوصى جنوده فى حالات الحرب ألا يبدأوا بقتال العدو، حتى يبدأهم بالحرب، ولا يقتلوا من ولى دبره عن قتالهم، ولا يقتلوا الجريح ومن عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب، ولا يؤذوا النساء بشىء حتى وإن بدأن بسب أو شتم. [٢٥٠].
ونحو ذلك من وصاياه (عليه السلام).

أرأيت عدلاً رفيعاً كهذا العدل؟

بل هل حدثك التاريخ الإنسانى عن رجل يحب الخير حتى لخصومه الذين ناصبوه العدا؟
إنه على (عليه السلام) صاحب القلب الكبير، الذى شمل الناس بحب غامر، فبسط لهم العدل فى حياتهم، وأشعرهم بحقيقة الكرامة الإنسانية ووفر لهم غطاء من الأمن والاستقرار فى جو الشعور بالمساواة والحياة الحرة الكريمة.

تواضع الإمام

خلق التواضع فى معاملته الناس، بقدر ما يكون عبادة إسلامية يندب الشرع الإلهى إليها، كذلك يعبر عن إحدى صيغ التعامل الفاضل بين أبناء الأمة فهو من وسائل توحيد الكلمة وجمع الشمل، وإشاعة المودة وإلغاء التفاوت الطبقي.
ولقد كان الإمام على (عليه السلام) مثلاً أعلى فى تواضعه كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبل.
وسيرته العطرة تطرح المزيد من الشواهد على ذلك الخلق الإسلامى الرفيع:

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «كان أمير المؤمنين يحطب ويستسقى ويكنس، وكانت فاطمة تطحن تعجن وتخبز». [٢٥١].
وكان الإمام (عليه السلام) يشتري حاجته وحاجته أسرته الكريمة من السوق بنفسه، ويحملها بيده، وهو أمير المؤمنين، ويحظى باحتلال أرفع مركز فى حياة المسلمين، ولقد كان الناس يسرعون إليه لحمل أشياءه حين يرون ذلك منه، ولكنه يأبى عليهم ويقول: رب العيال أحق بحمله. [٢٥٢].

وكان (عليه السلام) يسير فى الأسواق وحده، لا يصحبه حشم ولا خدم، ولا جند، فيرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالقالين والتجار ويأمرهم بالتواضع وحسن المعاملة ويتلو عليهم قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين). [٢٥٣].

ومن عظيم تواضعه (عليه السلام) أنه خرج يوماً على أصحابه وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم فقال: - ألكم حاجة؟ قالوا: - لا يا أمير المؤمنين، ولكننا نحب أن نمشي معك.

فقال لهم: - «انصرفوا فإن مشى الماشي مع الراكب مفسد للراكب ومذل للماشي». [٢٥٤].

وقد استقبله زعماء الأنبار وترجلوا وأسندوا بين يديه فقال (عليه السلام): - ما هذا الذي صنعتموه؟ قالوا: - خلق منا نعظم به أمراءنا. فقال (عليه السلام): - «والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم، وإنكم لتشقون به على أنفسكم، وتشقون به في آخرتكم، وما أخسر المشقة وراءها العقاب، وما أربح الراحة معها الأمان من النار». [٢٥٥].

ومن تواضعه الجَمَّ أكله خبز الشعير واللبن، ولبسه أبسط أنواع اللباس، وترقيعه لثوبه البالي، وبساطته في مسكنه [٢٥٦] ووقوفه بين يدي القاضي مع رجل من عامة الشعب الذي يضطلع الإمام (عليه السلام) بقيادته. [٢٥٧].

ومن أدبه الكامل تسليمه على النساء [٢٥٨] من قومه، ومشيه مع المرأة لقضاء شأن من شؤونها حتى وإن جلب له الأمر مشقة، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

«رجع الإمام (عليه السلام) إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول:

إن زوجي ظلمني، واخافني، وتعدى علي..

فقال الإمام:

يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إن شاء الله، فقالت:

يشد غضبه علي.

فطأ الإمام (عليه السلام) رأسه ثم رفعه وهو يقول:

لا والله أو يأخذ للمظلوم حقه غير متع! أين منزلك؟

ووقف الإمام (عليه السلام) على باب المنزل فقال:

السلام عليكم، فخرج شاب.

فقال له الإمام (عليه السلام):

يا عبدالله اتق الله، فإنك قد أخففتها وأخرجتها!

فقال الفتى:

وما أنت وذاك؟ فقال أمير المؤمنين:

أمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر لمعروف؟

فأقبل الناس يلقون التحية على الإمام (عليه السلام):

سلام عليكم يا أمير المؤمنين.

فأسف الشاب على ما كان منه وهو يقول:

يا أمير المؤمنين أقلني عثرتي، فوالله لأكون لها أرضاً تطوئي.

فالتفت الإمام إلى المرأة قائلاً:

يا أمة الله ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه». [٢٥٩].

وكان الإمام (عليه السلام) قريباً سهلاً هيناً يلقي أبعد الناس وأقربهم بلا تصنع ولا تكلف، ولم يحط نفسه بالألقاب ولا زخرفة الملك، بل كان يتعامل مع الأمة كفرد منها، يعيش مشاكل الضعفاء، ويحب المساكين، ويتودد للفقراء، ويعظم أهل التقوى من الناس.

ولقد كان من شواهد رفيقه بالأمة وتواضعه في المعاملة وسهولته، ومرونته: مقابلته لمن يلقاه بالبشر وطلاقة المحيا والابتسامه الحلوة

وبشر الوجه، إلغاء منه للحواجز والرسميات بين القيادة والأمة، وإنهاء لدور الزخرفة والألقاب التي يحيط بها الأمراء والقادة أنفسهم عبر تعاملهم مع الناس.

ولاشتهاره بتلك الروح الاجتماعية السميحة بين عامة الناس حاول أعداؤه أن يشوهوا تلك الميزة في الإمام (عليه السلام) ويحولوها إلى عيب ينزونه فيه إمعاناً منهم في تشويه واقع سياسته وجميل صفاته الشخصية والاجتماعية.

فعمر بن العاص يحدث أهل الشام عن علي (عليه السلام) فيقول: إنه ذو دعاية شديدة [٢٦٠] محاولاً الانتقاص من شأن الإمام (عليه السلام) والإمعان في تغطية فضائله، والعمل على كل ما من شأنه تضليل الناس هناك لكي يحال بينهم وبين التطلع لواقع الإمام (عليه السلام) وحقيقته.

حتى أن الإمام (عليه السلام) حين بلغه افتراء ابن العاص قال: «عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعاية وإني امرؤ تلعبه». [٢٦١]. ولقد كان معاوية بن أبي سفيان يشيع ما يشيعه ابن العاص كذلك في مناسبة وأخرى.

وما يضير أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا عابه معاوية وابن العاص، فلقد كان (عليه السلام) يقتفى أثر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سماحة أخلاقه وطلاقة محياه سواء بسواء.

وكان (عليه السلام) يعمل على الالتصاق بالناس للتعرف على ما يعانون حتى أنه كان يمشى في الأسواق ويتابع الحركة التجارية من ناحية الوزن والأسعار ونوعية المعروض من السلع - كما ألمحنا إليه قبل قليل.

وكان الإمام (عليه السلام) حريصاً على متابعة تصرفات الولاة في البلدان، والقادة وجباة الأموال، ويأمرهم بالرفق والتواضع في معاملته الناس.

وما أروع روح التواضع عند علي (عليه السلام) كما يصفها ضرار ابن ضمرة في حديثه لمعاوية - الذي افتتحنا به هذا الفصل - «يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جش،.. كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتينا، وإذا دعونا.. يعظم أهل الدين، ويحب المساكين». [٢٦٢].

حلم الإمام

اشاره

ولقد كان الإمام (عليه السلام) قمة في حلمه وعفوه عمن يسيء الأذنب معه فهو لا يعرف الغضب إلا - حين تنتهك للحق حرمة أو تتعدى حدود الله تعالى، أو يتعدى على حقوق الأمة وتضر مصلحتها.

وخلق الإمام (عليه السلام) في الحلم والصفح عن المسيء ظل هو هو لم يتغير، فعلى (عليه السلام) في صفحه وحلمه قبل خلافته، كعلى في صفحه وعفوه أيام قيادته المباشرة للأمة، على أن عظمة الإمام (عليه السلام) تزداد قوة وجلاء حين يظل يصفح ويمعن في عفوه حتى عن أشد خصومه في وقت يمتلك القدرة على العقاب والإرهاب والقتل.

فهو في أيام خلافته في مركز يؤهله أن يقتصر من خصومه، فهو رئيس الدولة، والمطاع الأول بين أتباعه غير أنه مع هذا وذاك ظل يحمل نفس الروح من العفو والتجاوز كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) سواء بسواء.

وهذه نماذج من عفوه

- أسر مالك الأشتر (رضي الله عنه) مروان بن الحكم يوم الجمل فلما مثل مروان بين يدي الإمام (عليه السلام) لم يستقبله بسوء قط، وإنما عاتبه على موقفه الخياني اللئيم فحسب [٢٦٣] ثم أطلق سراحه ومروان هو هو في حقه على الإسلام والإمام (عليه السلام)، وهو

فى دسائسه ومكره، ودوره الخبيث فى تأجيج الفتن فى وجه الإمام (عليه السلام) أشهر من أن نذكره، فهو الذى عارض البيعة للإمام (عليه السلام) وهرب من المدينة المنورة بعد البيعة مباشرة، وهو الذى ساهم فى فتنة البصرة، وألهب الناكثين وأغراهم بالتعجيل بها.. إلى غير ذلك من مواقفه الخسيئة.. ولقد عفا الإمام (عليه السلام) كذلك عن عبدالله بن الزبير [٢٦٤] بعد أسره يوم الجمل، وعبدالله بن الزبير هو الذى كان يقود الفتنة فى حرب الجمل.. وجيء بموسى بن طلحة بن عبيدالله، وكان طرفاً فى فتنة الجمل فلما وقف بين يدى الإمام (عليه السلام) خلى سبيله، ولم يعنفه عن دوره فى الفتنة، وإنما طلب منه أن يستغفر الله ويتوب إليه ثم قال:

اذهب حيث شئت، وما وجدت لك فى عسكرنا من سلاح أو كراع فخذ، واتفق الله فيما تستقبله من أمرك واجلس فى بيتك. [٢٦٥].
ومن عظيم عفوه ما رواه الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «كان على (عليه السلام) إذا أخذ أسير فى حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه». [٢٦٦].

أرأيت موقفاً إنسانياً كهذا الموقف؟

لقد كان الإمام (عليه السلام) مدركاً أن الذين يقاتلونه من أهل الشام إنما يقاتلونه وهم عن حقيقته غافلون، فقد أغراهم معاوية بالمال، وسد عليهم منافذ التفكير والوعى على الحقائق بما استخدمه من وعاظ وسوء وواضعى حديث ممن باعوا ضمائرهم للانحراف صوب الجاهلية.

وبناء على هذا الوعى العلوى لحقيقة مقاتليه ممن أغراهم معاوية وغرر بهم، فقد سبق حلم الإمام (عليه السلام) عدله فى معاملتهم فلم يعاقب من اتخذ منهم أسيراً، وإنما يجرده من أداة الشر، ويضعه أمام الله والضمير كى لا يعود لقتال معسكر الحق الذى يقوده الإمام (عليه السلام).

ويذكرنا هذا الموقف الكريم بموقف معاوية وعمرو بن العاص اللذين كانا يصران على قتل الأشراف من جيش الإمام (عليه السلام)، بيد أنهما خشيا الفضيحة إذا أقدما على ذلك بعد أن خلى الإمام (عليه السلام) عن أسراهم ابتداء فعدل معاوية وصاحبه عن موقفهما لا لطيب خلق منهما، وإنما خشية نعمة الرأى العام الإسلامى. [٢٦٧].

ولم نذهب بعيداً وتلك معركة صفين تحمل أحداثها الكثير الكثير من مواقف الصفح العلوى.. فحين سبق جيش معاوية إلى ماء الفرات أصر على منع الماء عن جيش على (عليه السلام).. فأوفد الإمام (عليه السلام) لمعاوية وفداً كى يغير موقفه. ولكنه مضى فى إصراره وموقفه اللاأخلاقى...

فاضطر الإمام (عليه السلام) لتحريك قوة من جيشه لفك الحصار. وكانت النتيجة أن سيطر جيش الإمام (عليه السلام) على الماء.. ولكن علياً حمله حلمه الرفيع وكرم نفسه على بذل الماء لخصمه قائلاً لجنوده:

«خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم. وخلوا عنهم فإن الله عزوجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم». [٢٦٨].

ولقد كان مقدراً للإمام (عليه السلام) أن يذيقهم الهزيمة الشاملة لو أنه منعهم الماء وحال بينهم وبينه، ولكنها الأخلاق الإلهية التى يتمسك بها ويجسدها حياً فى دنيا الناس تأبى عليه ذلك اللون من المواقف..

حتى يقع التمييز الحاسم بين منهج الهدى والصراط المستقيم فى الفكر والعمل الذى يمثله على (عليه السلام) وبين سبيل الانحراف والالتواء واللاأخلاق التى يجسدها معاوية بن أبى سفيان..

ولنا أن نعرض شواهد من حلم الإمام (عليه السلام) وعظيم صفحه فى حياته الخاصة كذلك: - «دعا الإمام (عليه السلام) غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت فقال:

ما حملك على ترك إجابتى؟ قال:

كسلت عن إجابتك، وأمنت عقوبتك. فقال (عليه السلام):

الحمد لله الذى جعلنى ممن يأمن خلقه، أمض فأنت حرّ لوجه الله». [٢٦٩] وقد خاطبه رجل من الخوارج بقوله

«.. قاتله الله كافراً ما أفقعه!».

فوثب أصحاب الإمام (عليه السلام) ليقتلوه.. فقال الإمام (عليه السلام):

رويداً إنما هو سبحانه سب أو عفو عن ذنب. [٢٧٠].

وهكذا شمل الرجل بعفوه، وحال بين القوم وبين معاقبته.

هذا وفي سيرة الإمام (عليه السلام) الكثير من مثل هذه المواقف التي تعبر عن خلق إلهي كريم أطرت به شخصية على (عليه السلام)، على أننا لو غرضنا الطرف عن كافة مواقف الحلم التي اصطبغت بها حياة على (عليه السلام) بالنسبة إلى المسيئين له أو أعدائه لكان في موقف الإمام (عليه السلام) من قاتله ابن ملجم المرادي أعظم شاهد على تمتع الإمام (عليه السلام) بنمط من الأخلاق السامية لم يتمتع بها سوى الأنبياء والمقربين من البشر، فهل أنباك التاريخ عن إنسان عامل عدوه بنفس الروح التي عامل بها على (عليه السلام) قاتله، لقد شدد الإمام (عليه السلام) على أهل بيته أن يطعموا قاتله ويسقوه ويحسنوا إليه فعن الإمام الباقر (عليه السلام) وهو بصدد ذكر إحدى وصايا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في آخر حياته يقول:

أن على بن أبي طالب عليه السلام.. قال للحسن والحسين (عليهما السلام): «احبسوا هذا الأسير - يعني ابن ملجم المرادي - وأطعموه واسقوه، وأحسنوا إيساره فإن عشت فأنا أولى بما صنع في، إن شئت استقدت وإن شئت صالحت، وإن مت فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به». [٢٧١].

التورع

عن البغي والتورع عن البغي أصل من أصول نفسية الإمام (عليه السلام) وخلق من أخلاقه الكريمة، وهو مظهر من مظاهر التقوى التي يمتاز بها، فهو يتحاشى البغي حتى على أشد الناس خصومة له وللحق الذي هو عليه، وحتى إذا بغى عليه يبقى مصراً على التزام خطه في النأي عما له صلة بأى لون من ألوان البغي..

ومن أجل ذلك كان الإمام (عليه السلام) داعية السلم الأ-كبر، مع كثرة الشغب والفتن التي أثارها بعض الناس في طريق مسيرته الإصلاحية: - بذل كل ما في وسعه أن يجنب الأمة المسلمة سفك الدماء وتمزق الصف، حين ألح على الزبير وطلحه أن يعدلوا عن موقفهم، سواء من خلال المراسلة، أم الوفود أم اللقاءات الشخصية المباشرة مع الزبير وطلحه. [٢٧٢].

ولقد بلغ الأمر بالإمام (عليه السلام) حين التقى الجيشان في البصرة أن يدعو الزبير فيخرج الإمام (عليه السلام) بلا سلاح، ويعانقه طويلاً! وربما بكى على (عليه السلام) في ذلك الموقف، ثم عاتب الزبير على خروجه لقاتله، وذكره بعلاق المودة القديمة بينهما كما ذكره بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهما: «أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا زبير أتحب علياً، فقلت وما يمنعني من حبه، وهو ابن خالي؟

فقال (صلى الله عليه وآله): أما أنك ستخرج عليه وأنت له ظالم.

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك. [٢٧٣].

وحين أفلت الزمام وأصر الناكثون على إشعال نار الحرب بقي الإمام (عليه السلام) عند موقفه الراض للبغي والعدوان، فلنصغ إليه وهو يخاطب جنوده: «أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً». [٢٧٤].

وحتى بعد انتهاء المعركة بقي الإمام (عليه السلام) عند موقفه النائي عن العدوان فأعلن العفو العام عن جميع المشتركين في حربه: القيادات والقواعد على حد سواء. [٢٧٥] - وذاك الخلق العلوي تجلى في حوادث صفين من بدايتها إلى نهايتها: يقطع البغاة عن طريق الوصول إلى الماء وهو في حيويته لجيش مقاتل كبير فلا- يبادر لاستعمال العنف، بل يرسل الوفود، ويبذل المحاولات لتغيير الموقف

بالتى هي أحسن.. لكى لا تراق للمسلمين دماء.. ولكن البغى الأموى الحاقد الذى يجسده قولهم «ولا قطرة حتى تموت ظمأ». [٢٧٦] حملة على إصدار أوامره لقواته بالتحرك لكسر الحصار وهكذا كان.. وحين امتلك الماء أباحه لجيش عدوه منذ الساعة الأولى من سيطرة قواته عليه.. ومع أصحاب النهروان بذل الإمام (عليه السلام) كل مسعى لأجل إبعاد الناس عن القتال، ولكن إصرارهم على قتال الإمام (عليه السلام) حال دون بلوغهم الصراط المستقيم فعاشوا فى الأرض فساداً وقتلوا نفوساً بريئة، وأثاروا البلبلة فى البلاد مما اضطر علياً (عليه السلام) إلى قتالهم، ولكن بعد محاولات عديدة أيضاً لجمع الصف، ودعوات مستمرة لإقرار السلم وإلقاء السيف. [٢٧٧].

وفى وصايا الإمام (عليه السلام) لجيوشه وجباة المال والولاءة مؤشرات أخرى على التزام على (عليه السلام) لمنهاج اللابغى واللاعديوان على أحد كائناً من كان ما ذكرنا منه طرفاً فى الصفحات الماضية فى هذا البحث.. وما أعظم علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو ينص فى عهده لمالك الأشتر على وجوب التزام الرفق بالناس، وعدم التعامل بأى لون من ألوان البغى والتعالى على الناس، وغمط حقوقهم المفروضة فى شرع الله العظيم.. وأشعر قلبك الرحمة للرعية، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبغاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: أما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق.. فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه.

أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلِكَ، ومن لك هوى فيه من رعتك، فإنك إن لا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله دحض حجته، وكان الله حرباً حتى يتزع، ويتوب». [٢٧٨].

ولم يكن منهاج على (عليه السلام) هذا خاصاً بأهل مصر، وإنما هو منهاجه الشامل لكل البلاد التى رفرت رايه دولته الكريمة عليها.. ولقد كان الإمام (عليه السلام) يعهد إلى ولاته فى الأمصار مثل الذى عهده إلى مالك (رضى الله عنه) فى وجوب إشاعة العدل، والرفق بالناس، وعدم البغى عليهم بحال من الأحوال أو معاملتهم بأى لون من ألوان الظلم.. ولقد طرحنا بعضاً من وصاياه للولاءة فيما مضى من حديث.

شواهد من صبر الإمام

وقوة الإرادة والروح العالية فى مواجهة مصاعب الحياة ركن أساسى فى شخصية على (عليه السلام) وقد لا نغالى إذا اعتبرناها قاعدة للكثير من مواقف الإمام (عليه السلام) فى حياته العملية، مما ذكرناه أو مما لم نذكره، فشدة تعلقه بالله وكثرة عبادته، وتورعه عن البغى وزهده فى الحياة الدنيا، وصفحه عن يسيء إليه وغيرها مؤشرات ضخمة على تسلح الإمام (عليه السلام) بصبر لا يعرف الهزيمة ولا النكوص عن القصد بشكل جعل الإمام (عليه السلام) وكأنه الصبر صار إنساناً.

ومع أن تلك المواقف والممارسات تمنح الدليل تلو الدليل على حجم الصبر الذى يتمتع به الإمام (عليه السلام) فإنه من المناسب أن نذكر إلى جانب ذلك مواقف وأحداث جرت فى حياة على (عليه السلام) وقد أثر الصبر، ورباطة الجأش التى امتاز بها الإمام (عليه السلام) فى طرحها فى دنيا الواقع.. فحين أجمعت قريش فى دار الندوة على قتل المصطفى (صلى الله عليه وآله) من خلال عملية جماعية يتولاها من كل قبيلة شاب قوى ليذهب دم الرسول (صلى الله عليه وآله) هدرًا بزعمهم دون أن تستطيع بنو هاشم - عشيرة النبی - أن تطالب بدمه..

حين أجمع رؤوس الشرك على تدبير ذلك الجرم، أنبأ الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) بأمرهم:

(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (الأنفال: ٣٠).

وأمره تعالى بوجوب الهجرة إلى دار الإسلام «يثرب» فخرج (صلى الله عليه وآله) مهاجراً بعد أن ترك علياً (عليه السلام) فى فراشه ملتحفاً ببرده فقضى الإمام (عليه السلام) ليلته فى فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) دون أن يكثر بما حوله من مكر مبيت. فلقد كان محتملاً أن ينقض أولئك الأوغاد على الإمام (عليه السلام) بسيفهم دون رحمة، مدفوعين بالحق الجاهلى الأسود البليد، دونما

أقل اكرثا، ظناً منهم أنه الرسول (صلى الله عليه وآله)، والإمام (عليه السلام) كان يتوقع ذلك منهم، ولكن إرادة على ورباطة جأشه المعروفة المستمدة من الثقة المطلقة بالله والإيمان الكامل بقدره وقضائه تعالى وقوة صبر الإمام (عليه السلام) على مواجهة المصاعب والأحداث قد حملته على أن يسخر بما يبيتون، حتى إذا طلع هجم القوم على حجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلى (عليه السلام) فيها وهم يظنون أنه رسول الله (صلى الله عليه وآله).. فواجههم الإمام (عليه السلام) بصلابته إرادته المعهودة:

ما شأنكم؟ قالوا:

أين محمد؟ قال:

أجعلتموني عليه رقيباً؟ أستم قلتم نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم!!

هكذا يخاطب الإمام (عليه السلام) المتأمرين بمنتهى الصبر والإباء والصرامة ساخراً بأولئك الأوباش.

إنه موقف شجاع تتصاغر أمامه إرادة الأبطال من الرجال!

وبتلك الإرادة بقي الإمام (عليه السلام) في مكة بعد هجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يواجه مسؤولياته في تنفيذ وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله) وأداء كافة المهمات المناطة به.. وفي يوم هجرته خرج الإمام (عليه السلام) جهاراً يقود قافلة المهاجرات من أهل البيت: فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد وسواهما، فجرت محاولة من المشركين للحيلولة دون هجرته، ولكن إرادة على (عليه السلام) وقوة تحمله للعقبات أفشلت المحاولة، فلم يعأ بالفرسان الثمانية الذين أرسلوا لاعتراض سبيله، فواجههم بسيفه، وأهوى به على قائدهم بضربة قاضية، تحول الرجل بعدها إلى جثة هامدة يخور بدمه في تلك الفلاة من الأرض، ففر الباقون مخلفين قائدهم في الميدان.. [٢٧٩].

وفي دار الهجرة واجه الإمام (عليه السلام) مسؤولياته العظيمة كجندى من جنود الرسالة في الرعي الأول، فأبدى (عليه السلام) من قوة الإرادة ومضاء العزيمة والقدرة على مواجهة المصاعب ما يعد مفخرة يعتز بها إنسان الإسلام بامتداد وجوده التاريخي، فالإمام (عليه السلام) عبر المعارك الهجومية والدفاعية - التي خاضها رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أجل نشر الرسالة الإلهية أو حماية وجودها العملي في حياة الناس - كان قطب رحاها الخائض المقدم لغمراتها الذي لا تأخذه في الله لومة لائم من أجل إخماد طغيان الشرك والمشركين وكافة أعداء الرسالة المتربصين، فما من حرب تسعر وما من معركة تدور رحاها إلا دعى على (عليه السلام) لإخماد فتنتها وتنكيس رايات الجاهلية فيها: في بدر، وأحد والأحزاب، وحنين، وخيبر.. و..

وفي كثير من المواقف يسود الهلع في معسكر المسلمين، ويستبد الوهن والنكوص عن مواجهة العدو، فيعيد سيف على (عليه السلام) الثقة للنفوس ويجدد في معسكر الإيمان روح القدرة على المواجهة وصد العدوان..

الأمر الذي يكشف عما يتمتع به الإمام (عليه السلام) من نفس كبيرة تعلو على كل وهن، وتسخر بكل ضعف، وترتفع فوق كل ذلة وهوان.. إنها قوة الإرادة.. ومضاء العزيمة وشدة الصبر على المكاره مقرونة باليقين العميق بالله تعالى، والاستمداد منه والتوكل عليه دون سواه.

وقد تولى الإمام (عليه السلام) الخلافة في ظروف صعبة دقيقة على مضض، وبعد محاولات عديدة من الرفض لها من قبله، [٢٨٠] وما أن عقدت له البيعة حتى نكث قوم وقسط آخرون، ومرق غيرهم، كل ذلك من أجل أن يحال بين الإمام (عليه السلام) وبين استئناف المسيرة الإسلامية التي بدأها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولقد تحمل أمير المؤمنين (عليه السلام) ما تحمل من الآلام والمشقات في سبيل إخماد الفتن السوداء التي أثارها أصحاب المنافع الشخصية وأصحاب المصلحة من سياسة الانحراف، في طريق مسيرته الإصلاحية، فقابل كل ذلك بالصبر الجميل، وبالتسليم لقضاء الله تعالى، حتى رحل إلى ربه الأعلى شهيداً مثقلاً بالمتاعب والآلام.. وإذا تركنا تلك الأمور جانباً وألقينا نظرة على جوانب أخرى من حياة الإمام (عليه السلام) لنحدد مواقع الصبر والإرادة الصلبة لما صح أن نفوتنا مواقف الصبر التي وقفها أمير المؤمنين (عليه السلام)

حين يفارق أحبته ورفاق الدرب، وأولهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي فاضت نفسه الشريفة في حجر الإمام (عليه السلام). [٢٨١] وواراه الثرى بنفسه، وعاش مأساة فراقه بكل أبعادها، وها هو يخاطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يلى غسله وتجهيزه بكلمات حزينة تدمى القلب وتزرع الأسى: «بأبى أنت وأمى يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء. خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك؟ وعممت حتى صار الناس فيك سواء. ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، ولا نفذنا عليك ماء الشؤون، وكان الداء مماتلاً، والكمد محالفاً، وقلاً بك، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يستطيع دفعه! بأبى أنت وأمى. أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك». [٢٨٢].

وإذا أعدنا إلى الأذهان ما يحظى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حب وتعظيم في نفس أمير المؤمنين (عليه السلام) لأدركنا حجم الأسى الذى صب على الإمام (عليه السلام) بفقده (صلى الله عليه وآله)، فعلى (عليه السلام) قد حظى بتربية الرسول (صلى الله عليه وآله) ورعايته وإعداده ومصاحبته منذ الصبا حتى فارق رسول الله الدنيا.

ولقد كانت تلك التربية وتلك الأخوة بينهما مليئة بضروب الود والحنان والوفاء والإخلاص مما ليس له نظير. [٢٨٣].

على أن الإمام (عليه السلام) التزم جانب الصبر راضياً بقضاء الله المحتموم في رسول الله (صلى الله عليه وآله). - وفي خضم الأحداث المريعة التى عاشها أمير المؤمنين (عليه السلام) فى هذه الفترة، ألفت بالزهاء سيدة نساء العالمين العلة التى توفيت على أثرها فلحقت بالراحل العظيم أبيها حيث كان الإمام (عليه السلام) طوال فترة المرض الذى عانت منه فاطمة (عليها السلام) يعيش ما تعاني بملء كيانه، فهى وديعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومدرسة الإمامة التى خرجت قادة الأمة الهداة (عليهم السلام) وهى الصابرة المحتسبة وهى بعد ذلك زوجته الوفية التى عاشت معه آماله وآلامه طوال حياتها معه..

لقد رأى الإمام (عليه السلام) زهراء الإسلام، بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله): وهى تعيش مرارة الأسى ثم وهى تستسلم لفراش المرض فيشحب لونها، وتتردى أوضاعها الصحية يوماً بعد يوم، ثم يراها وهى تفارق الدنيا، فيباشر تغسيلها وتجهيزها ودفنها عليها السلام، ثم يقف على شفير قبرها مودعها بعبارات تذيب القلوب الحديدية السلام عليك يا رسول الله عني، وعن ابنتك النازلة فى جوارك، والسريعة اللحاق بك! قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى، ورق عنها تجلدى، إلا أن فى التأسى لى بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضع تعز، فلقد وسدتك فى ملحودة قبرك، وفاضت بين نحرى وصدرى نفسك فإننا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة! أما حزنى فسرمد وأما ليلى فمسهد إلى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكم سلام مودع، ولا قال، ولا سئم، فإن انصرف، فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين. [٢٨٤].

فالتيجة أن الإمام (عليه السلام) استسلم لقضاء الله تعالى واستعان على الأسى بجميل الصبر.

وكما صبر الإمام (عليه السلام) لفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والصديقة الزهراء (عليها السلام)، تجمل بالصبر كذلك لفقد أخوة له فى الله، انقطعوا إليه فى الوفاء وبذلوا أرواحهم وكل ما يملكون فى سبيل رسالة الله تعالى، وقد تصدوا لهدم الباطل، وواجهوا الانحراف، فاستشهدوا فى ساحات الجهاد كعمار بن ياسر ومالك بن النيهان، وذى الشهادتين خزيمة بن ثابت الأنصارى ومالك الأشر، ومحمد بن أبى بكر وسواهم.

وها هو الإمام (عليه السلام) يذكرهم قبل اغتياله بأيام فى خطبة له جاء فيها (.. أين إخوانى الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار، وأين ابن التيهان، وأين ذو الشهادتين وأين نظرائهم من إخوانهم الذين تعاهدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة. ثم أطل البكاء» وقال:

«أوه على إخوانى الذين تلو القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه..». [٢٨٥].

ومن شواهد صبر الإمام (عليه السلام) كذلك رفضه للدنيا ولذاتها وتحمله لأذى الجوع، والتقشف وزهده بالمال حتى يبلغ به الحال أحياناً أن يشد حجر المجاعة، [٢٨٦] على بطنه، ولقد رأيت في حديثنا عن زهده وعدالته [٢٨٧] ما يغنيك عن تعداد شواهد أخرى من قوة تحمله وإرادته في مواجهة المشقات وعقبات الحياة. وهكذا عاش الإمام (عليه السلام) حياة مليئة بالكدح والآلام، زاهرة بالرزايا، حافلة بالمحن، غير أنه واجهها جميعاً بقوة صبره، وعظيم إرادته التي لا تقهر.

في حقل المعرفة

إن محاولة الحديث عن دنيا المعرفة عند علي (عليه السلام) مهما أعطيت من التوفيق يستحيل عليها أن تحدد الفكر العلوي العظيم، وتحيط بأبعاد المعرفة التي طرحها الإمام (عليه السلام) في ساحة الفكر الإنساني، وحسبك أن كل مدرسة فكرية ظهرت في دنيا المسلمين، كل منها تدعى انتماءها فكرياً للإمام (عليه السلام) حتى وإن كانت مخالفة للواقع والحق، وكأن قولها بالاستمداد من علي (عليه السلام) يعطيها صفة الشرعية وحق الحياة، فالأشاعة نسبوا أنفسهم له، والمعتزلة ادعوا الانتماء إليه، وزعمت مدرسة الرأي في الفقه انتماءها إليه، وذهب المتصوفة إلى أن أمامهم أمير المؤمنين فيما ذهبوا، وسوى هؤلاء كثير. [٢٨٨].

هذا فضلاً عن حملته مبادئه من الذين التزموا مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الثقل الثاني بعد القرآن الكريم الذي ألزمت الشريعة بالتمسك بهما وسلوك دربهما على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». [٢٨٩].

فادعاء جميع المدارس الفكرية والفقهية انتماءها للإمام (عليه السلام) وانتهاؤها من بحر علمه مؤشر كبير على عظمة الإمام (عليه السلام) وعلو شأنه في دنيا الفكر الإسلامي. الأمر الذي لم يكن لأحد من المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) طوال التاريخ الإسلامي. فعلى (عليه السلام) قد تنازعت كل الحركات الفكرية والفقهية التي ولدت في تاريخ المسلمين، بل قال بالانتساب إليه أصحاب النشاطات الفكرية والثقافية والعلمية من نحويين وأهل القراءات وعلماء التفسير وأهل الحديث والفقه وسواهم على أن الانتساب لعلي (عليه السلام) في الحقل المعرفي أو ادعاء الانتساب إليه لم يأت عفواً أبداً، وإنما هو شاهد قوي على أن علياً (عليه السلام) لم يترك حقلاً من حقول المعرفة الصحيحة إلا ووضع أسسه وحدد معالمه وترك الباب مفتوحاً لرواد المعرفة أن ينتهلوها منه.

ولم يكن العطاء الفكري العظيم الذي أسداه الإمام (عليه السلام) للإنسان إلا- حصيلة طبيعية للإعداد الخاص الذي توفر للإمام (عليه السلام) من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ طفولة الإمام (عليه السلام) حتى آخر ساعة من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي تسالم المؤرخون على حقيقة وقوعه.

ولقد أشار الإمام (عليه السلام) ذاته إلى ذلك الإعداد الذي وفره له رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكشف عن أهميته وأبعاده في حياة الإمام (عليه السلام) بقوله «.. وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه: ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمسح الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطئة في فعل.. ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجه، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة». [٢٩٠].

ولاستمرارية ذلك الإعداد الخاص لعلي (عليه السلام) يشير أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) بقوله «كانت لعلي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخلة لم تكن لأحد من الناس». [٢٩١].

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) عن علي (عليه السلام) قال:

«كان لى من النبى (صلى الله عليه وآله) مدخلان: مدخل بالليل ومدخل بالنهار». [٢٩٢].

ولقد كان ذلك الإعداد الرسولى منصباً على جميع جوانب شخصية الإمام (عليه السلام) من أجل تأهيله فكرياً ونفسياً لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الإسلامية بعد غياب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن مسرح الحياة..

وحيث أن حديثنا هذا يهدف إلى دراسة العطاء الفكرى الثرى الذى طرحه الإمام (عليه السلام) فى الساحة الإنسانية فلا بد من أن نشير إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين أكمل بناء الجانب الفكرى من شخصية الإمام (عليه السلام) وأهله لخلافته فى هذا المضمار، أخذ (صلى الله عليه وآله) يبلغ الأمة بحقيقته ما وصل إليه الإمام (عليه السلام) من مستوى عظيم فى ميدان المعرفة:

قال (صلى الله عليه وآله): - «أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأتني من بابي» - [٢٩٣].

«على باب علمى ومبين لأمتي ما أرسلت به». [٢٩٤].

وعن ابن مسعود قال: كنت عند النبى (صلى الله عليه وآله) فسئل عن علم على (عليه السلام)؟

فقال: - «قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطى على تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعشر الباقي». [٢٩٥].

وهناك أحاديث شريفة بهذا الشأن لا تكاد تحصى كثرة، وهى تهدف جميعاً إلى بيان المكانة التى يحتلها الإمام (عليه السلام) فى الجانب المعرفى، وتدعو الأمة صراحةً إلى وجوب أخذ معارف التشريع الإلهى عن طريقه، [٢٩٦] فمنه تستمد الهدى، وهو الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولقد أدرك الكثير من معاصرى الإمام (عليه السلام) ما يحظى به (عليه السلام) من علو شأقه فى مجالات المعرفة بشتى حقولها وجوانبها، وما يتبوؤه من مقام رفيع فى ركب الإسلام الخالد:

فها هو ابن عباس (رضى الله عنه) يقول: - أعطى على ابن أبى طالب تسعة أعشار العلم، وأنه لأعلمهم بالعشر الباقي. [٢٩٧].

وعطاء بن أبى رباح يقول: - حين سئل هل تعلم أحداً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعلم من على... لا والله ما أعلمه.

وعمر بن الخطاب يقول: - العلم ستة أسداس، لعلى من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس، ولقد شاركنا فى السدس حتى لهو أعلم به منا. [٢٩٨].

ولكم كان الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً يرجعون إليه فى مسائل القضاء والحكم والإدارة، حتى أن عمر ابن الخطاب كان يردد «لا أبقانى الله لمعضلة ليس لها أبو حسن» أو يقول «أعوذ بالله من معضلة لا على لها».

وعائشة تقول: - على أعلم الناس بالسنة. [٢٩٩].

وغير هؤلاء كثير..

على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أفصح مراراً وفى مناسبات شتى عما يحمل من علم شامل غزير.

فتراه يخاطب أصحابه بأن صدره يحمل علماً عظيماً تلقاه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولو وجد له حملة أمناء يتصدون لحمله وتبليغه لأودع بعض علمه لديهم: - «إن فى صدرى هذا لعلماً جماً، علمنيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولو أجد له حفظة يرعونه حق رعايته ويروونه عنى كما يسمعون منى، إذا لأودعتهم بعضه..». [٣٠٠].

ثم يكشف فى مناسبة أخرى عن حجم ذلك العلم الذى يحمل ويبين أبعاده ومساحته:

فعن ابن نباتة قال:

لما بويع أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابساً برده فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ، وأندر، ثم جلس متمكناً، وشبك بين أصابعه، ووضعها أسفل سترته ثم قال: - يا معشر الناس سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى فإن عندى علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثبت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب إن علياً

قضى بقضائك، والله إنى لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه،.. ثم قال ... سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتُموني عن أية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأتكم بنسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابها، ومكيها من مدنيها والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها. [٣٠١].

«سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم جبل». [٣٠٢].

ولو قدر أن علياً (عليه السلام) لم يتسن له أن يساهم بما ساهم به من علم جم - الأمر الذى سنتناول خطوطه العريضة في هذا الفصل - في المجالات الفكرية فإن نداءاته الملحة في مناسبة وأخرى: سلوني قبل أن تفقدوني: آية جلية على قدراته الفائقة في حقول المعرفة بشتى ضروبها وامتدادها.

ولو قدر كذلك أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكشف عما لعلى (عليه السلام) من سابقة في العلم وعلو شاق في المعرفة، لكان إصرار على (عليه السلام) على دعوة الناس بتلقى العلوم منه شاهداً قوياً لا يرد على ما له (عليه السلام) من علم غزير، فإن ثقته العالية بنفسه في مضمار العلم هي التي تدفعه لتكرار ذلك النداء الفريد، الذى ما حدثنا التاريخ أن رجلاً قدم عليه قبل على (عليه السلام) خوف الفضيحة والنكوص عن الإجابة!

ولقد تنبه الكثير من أصحاب العقول إلى ما ينطوى عليه ذلك النداء العلوى: سلوني، من أهمية بالغه، فقد قال سعيد ابن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير على بن أبى طالب». [٣٠٣].

وعن ابن شبرمة يقول: (ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر سلوني إلا على بن أبى طالب). [٣٠٤].

فالنداء المذكور بكثرة إلحاحه وحرارته يحمل بين ثناياه ما حواه الإمام (عليه السلام) من علم شمولي يمد الإنسان بالغنى والخير والهدى والسداد.

من أبعاد المعرفة

بمقدورنا بعد إيراد التوطئة المتعلقة بالحقل المعرفي عند أمير المؤمنين أن نقول أن تصوراً قد تكامل لدينا حول عمق المعرفة وشمولها عند الإمام (عليه السلام) فهو وريث رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمبين للأمة ما بعث به، ومرجعها في كل تساؤلاتها الفكرية الملحة كل ذلك حصيلة لإعداد مسبق من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشرنا لبعض مصاديقه فيما مضى من حديث.

بقى أن نشير في هذا الفصل إلى أبعاد المعرفة التى أسداها الإمام (عليه السلام) للإنسان: المسلم منه وغير المسلم.

ففكر على (عليه السلام) وإن كان رسالياً هادفاً إلى خدمة الرسالة الإلهية وحملتها وعاملاً على دفع عجلة مسيرة الإسلام التاريخية إلى الأمام، فإنه يبقى منهلاً عذباً لتصيب منه الإنسانية بشتى نحلها واتجاهاتها الفكرية، وهو كفيل بهدايتها إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

وقبل أن نطرح الخطوط العامة للجانب المعرفي عند الإمام (عليه السلام) جدير بنا أن نشير إلى أنه (عليه السلام) بالرغم مما طرحه في دنيا الفكر الإنساني من أبواب المعرفة المتعددة فإننا نظل عند قناعتنا من أن الإمام (عليه السلام) لم تسعفه الظروف الاجتماعية والسياسية على حد سواء أن يسدى للإنسان بالكثير مما عنده من معرفة.

فإذا أهملنا الظروف السياسية التى أملت بالإمام (عليه السلام) ومنعته من أداء مهماته على الشكل المرجو من أجل مصلحة الرسالة والإنسان - فإن الظروف الاجتماعية لا تقل خطراً عن تلك الظروف، فالمجتمع الذى عايشه الإمام (عليه السلام) لم يكن فى مستواه من ناحية الوعي قادراً على إدراك الإمام وأهميته ودوره الرسالي الخطير فى حياة الناس، ولعل أبلغ شاهد على ذلك ما كان يواجهه الإمام (عليه السلام) من تساؤلات فجأة واعتراضات تافهة حين يدعو قومه للإفادة مما يحمل من علم جم تلقاه من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ونذكر بهذا الصدد بعض تلك المواقف التي تقطر سخفاً وبلادة: - فقد خاطب الناس مرة بقوله: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تفضل مائة أو تهدى مائة إلا نبأتكم بناعقها، وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه:

فقام إليه سنان بن أنس النخعي قائلاً:

أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر!! [٣٠٥] - وبينما كان الإمام (عليه السلام) يوماً يحدث قومه عن بعض حوادث المستقبل كبر على أعشى بأهله - عامر بن الحارث - ما تحدث به الإمام (عليه السلام) فقال له: يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة. [٣٠٦].

هذه بعض المواقف التي اتخذها البعض من الناس الذين عاصروا الإمام (عليه السلام) فأضاعوا أئمن فرصة مرت بالأمّة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وبالرغم من ذلك كله فإننا ينبغي ألا نغفل ما كان ينطوي المجتمع عليه من طلاب المعرفة من أجل الوصول إلى الهدى والخير. وكانت تلك الفئة واعية لحقيقة الإمام (عليه السلام) مؤمنة بقدرته الفائقة على طرح شتى أنواع الفكر الإسلامي في العقائد والتشريع وفي مختلف أبواب المعرفة الضرورية لمسيرة الإنسانية.

وقد قابل أمير المؤمنين (عليه السلام) أولى الألباب بنفس الثقة التي أولوها له، فخصهم بالكثير من ألوان الإعداد والتوجيه والتثقيف ليواصل المسيرة التي بدأها رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي خط الإمامة عبر التاريخ الإسلامي ابتداء بعلي (عليه السلام) وانتهاء بأبي القاسم المهدي (عليه السلام).

وقد بلغ بالإمام (عليه السلام) أن يكشف الكثير من أسرار المعرفة لأولئك المتقين الأفذاذ من الرجال. [٣٠٧]. وقد تعاهد الإمام (عليه السلام) أمر إعداد الحَمَلَة الحقيقيين للرسالة الإلهية من بدأ الرسول (صلى الله عليه وآله) عملية إعدادهم أو غيرهم..

على أن الذي توفر للإمام (عليه السلام) طرحه من آراء ومبادئ وحكم ومفاهيم في ساحة الفكر الإنساني كفيل بعضه دون جميعه لإبراز عظمة الإمام (عليه السلام) وقدراته العلمية الفائقة. وها نحن أولاً، نطرح صوراً من المعرفة عند الإمام (عليه السلام):

صور من الفكر العقائدي

اشاره

للإمام (عليه السلام) باع طويل في طرح الصيغ المحددة للعقائد الإسلامية من خلال ما طرحه من خطب ورسائل ومواظ و مناقشات. والباحث فيما خلفه الإمام العظيم (عليه السلام) من ثروة فكرية يتجلى له بعمق أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أعطى للعقيدة الإسلامية ركائزها الأساسية على وجه الخصوص الكثير من الاهتمام والعناية، وأغلق الباب بوجه أي شذوذ وانحراف وعدول عن مضامينها الحقيقية بأسلوب واضح وجلي لا يمكن صرفه أو تأويله لأي معنى آخر غير ما أراد الإمام (عليه السلام). فالله تعالى وأسماءه الحسنی وصفاته ذاته وصفات أفعاله، والرسالة والنبوة والوحى، والملائكة والإمامة والقضاء والقدر، والبعث والنشور وفلسفة الدنيا والجنّة والحساب وسواها من أسس العقيدة والإسلامية قد طرحها الإمام (عليه السلام) في صيغ محددة نابضة بقوة الحجّة والبرهان والوضوح.

ولو قدر للأمّة المسلمة بجميع فرقها أن تنهل من المنهل العذب الرقراق الذي فجره علي (عليه السلام) في دنيا الفكر الإسلامي،

لاجتمعت الكلمة وتوحد الصف والهدف، وما شهدت دنيا المسلمين أى لون من ألوان الشطحات والانحرافات المضلة التى جنح إليها رهط من أتباع المدارس الفكرية عند المسلمين.

وبقدر ما تسمح به محاولتنا لدراسة الخطوط العامة لما خلفه لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) من ثروة فكرية سنعرض نماذج من الفكر العقائدى الذى زين الإمام (عليه السلام) بها صفحات الفكر الإنسانى بشكل عام:

وحدانية الله عز وجل

«الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدى حقه المجتهدون، الذى لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذى ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلاق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه. [٣٠٨].

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال «فيم» فقد ضمنه، ومن قال «علام؟» فقد أخلى منه.

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم.

مع كل شىء لا بمقارننه، وغير كل شىء لا بمزايله، فاعل لا بمعنى الحركات والآله، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها. [٣٠٩ ...].

«الأول لا شىء قبله، والآخر لا غاية له، ولا تقع الأوهام له على صفه، ولا تقعد القلوب منه على كيفة، ولا تناله التجزئة والتبعيض، ولا تحيط به الأبصار والقلوب...». [٣١٠].

«لم يولد سبحانه فيكون فى العز مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، والقضاء المبرم». [٣١١].

«الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسى أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو أنس، لا يدرك بوهم، ولا يقدر بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحد بأين، ولا يوصف بالأزواج ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس». [٣١٢].

هكذا حدد أمير المؤمنين (عليه السلام) مفهوم وحدانية الله سبحانه وتعالى، وهكذا عرف على (عليه السلام) الله رب العالمين، ووصفه كما أراد الله تعالى أن يوصف به، فقد نزهه عن التشبيه والتجسيم والمكان والتجزئة والتبعيض وكل نقص، وأخرجه بوصفه عن كل صفة من صفات مخلوقاته، كما شاء الله تعالى أن يوصف، وكما علم أوليائه أن ينعتوه.

الرسالة والنبوة

وكما حدد الإمام أبعاد التوحيد وحقيقته، أعطى (عليه السلام) التحديد الموضوعى الشامل للنبوة والرسالة مبيناً فلسفتها وأهدافها، وموضحاً أن اللطف الإلهى بالعباد اقتضى إرسال الأنبياء (عليهم السلام) إلى الناس ليأخذوا بأيديهم إلى حيث الهدى والرشاد وسبيل الحقن بعد أن تنكروا لعهد الله إليهم، وخرجوا عن مقتضى الفطرة التى فطرهم الله عليها قال (عليه السلام):

«واصطفى سبحانه من ولده - من ولد آدم - أنبياء أخذ على الوحى ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله

إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدره: من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعاش تحييههم، وآجال تفتنيهم، وأوصا تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة [٣١٣] أو محجة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم: من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله: على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء وخلفت الأبناء.

إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) لإنجاز عدته، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين، ميثاقه، مشهوره سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مثير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة... [٣١٤].

«بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الأعدار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق...» [٣١٥].

«فبعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقروا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلث، واحتصد بالنقمة...» [٣١٦].

خط الإمامة في دنيا الإسلام

ويجلى الإمام (عليه السلام) حقيقة خط الإمامة وضرورته في دنيا المسلمين ويحدد مرامي الأئمة (عليهم السلام) ويرشد الأمة المسلمة إليهم باعتبارهم الامتداد الحقيقي للرسالة، والحملة الحقيقيين لرسالة الله تعالى وهدية للعالمين بعد رسوله (صلى الله عليه وآله)، بهم يقام الحق وتحمي الشريعة ويصان الدين، وتحفظ كلمة الله تعالى.. وتبلغ الأمة الهدى والخير، وبسواهم يكون الضلال والانحراف والضياع يقول (عليه السلام): - «.. لا يقاس بآل محمد (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً: هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفى الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله...» [٣١٧].

«إن الأئمة من قریش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية في غيرهم...» [٣١٨]. وبعد هذا التحديد الدقيق للإمامة وللأئمة، يحذر (عليه السلام) من مغبة نكران الأئمة والتنكر لهم «.. وإنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكروهم وأنكروه...» [٣١٩].

ويحذر من مغبة نكرانهم في مسيرة الحياة الإسلامية حيث يوضح بكل جلاء أن الحق لا يحصل بسواهم وأن الهدى لا وجود له إلا بمتابعتهم «فأين تذهبون، وأنى تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، وهم أئمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم وردود إليهم العطاش...» [٣٢٠]. ثم يشير الإمام (عليه السلام) إلى أن خط الإمامة مصاحب لمسييرة الأمة، وأرض الله لا تخلو من حجة من آل محمد (صلى الله عليه وآله) يحمل الهدى للناس:

«إلا- أن مثل آل محمد (صلى الله عليه وآله) كمثل نجوم السماء: إذ حوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون...» [٣٢١].

ونكتفى بهذه النماذج من الفكر العقائدى الذى طرحه الإمام (عليه السلام) فى ساحة الفكر الإسلامى، ومن شاء الاستزادة فدونه نهج البلاغة فإنه ينبوع لا ينضب يمد المتبع بشتى ضروب المعرفة فى مضمار العقيدة وسواها.

صور من الفكر السياسي - الاجتماعي

بالرغم من قصر المدة التي قضاها أمير المؤمنين (عليه السلام) في قيادة الأمة اجتماعياً وسياسياً فإن الفكر السياسي الذي طرحه الإمام (عليه السلام) كفيل بتغطية حاجات الإنسان عبر امتداده التاريخي على هذه الأرض، فقد جاءت خطب الإمام (عليه السلام) ورسائله وأوامره وإرشاداته زاخرة بهذا اللون من الفكر، مجسداً أروع أطروحه وأنضجها لإدارة شؤون الحياة الإنسانية.

ففي الحقل الاقتصادي طرح الإمام (عليه السلام) نظاماً متكاملًا لعلاج المشكلة الاقتصادية، وظاهرة الانحراف عن خط العدالة الإسلامية في التوزيع، وحدد برامج واضحة تتجاوز الأخطاء المتراكمة في مسألة توزيع المال بين الناس من خلال منهج التسوية في العطاء. ولم يلمس الإمام (عليه السلام) المواقف الوعظية في علاج المشكلة الاقتصادية وإقرار العدالة في المجتمع فحسب وإنما سلك إلى جانب مخاطبة الضمائر والاستفادة من رصيد الإيمان بالله فيها، سلك سبيل استخدام الضوابط القانونية في تحقيق التوازن والعيش الرغيد، وإنهاء دور الظلم في المجتمع ومن أجل ذلك استرد الأموال التي تدفقت على جيوب فئة من الناس من غير حق، وسلك سبيل مراقبة طرق جباية الأموال، وكيفية توزيعها على قطاعات الأمة، كما شدد على مراقبة ولايته في الأمصار، واستحدث نظام المراقبة والتفتيش ليحيط علماً بتصرفاتهم وممارساتهم ومن هنا تجد الكثير من النصوص التي يوجه فيها الإمام (عليه السلام) والياً أو جابياً للمال باتجاه الطريقة المثلى في عمله المناط به، كما نجد نصوصاً يوبخ فيها الإمام (عليه السلام) ذلك الوالى أو يستدعيه للحساب أو يعزله عن منصبه لخيانته الأمانة التي أنيطت به. [٣٢٢].

وكما وضع الإمام (عليه السلام) مناهجه القويمه المجسدة لشرع الله تعالى في المال، كذلك فعل بالنسبة للإدارة وشؤون القيادة الأخرى في المجتمع، فبالرغم من كثرة النصوص التي حفظها لنا نهج البلاغة وكتب السيرة الأخرى التي يحدد (عليه السلام) فيها مسؤولي الولاية والعمال على البلدان، وما ينبغي أن يلتزموا به في حياتها العملية، يطرح الإمام (عليه السلام) المواصفات الواجب توفرها في شخصية الحاكم المسلم سواء أكان حاكماً عاماً للأمة أو حاكماً محلياً، ونكتفي هنا بذكر بعض من هديه بهذا الصدد.

«و.. وقد علمتهم أنه لا ينبغي أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم، والأحكام، وإمامة المسلمين: البخيل فتكون في أموالهم نهمة، ولا- الجاهل فيضلهم بجهله، ولا- الجافى فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشى في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة». [٣٢٣].

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم». [٣٢٤].

«لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع، ولا يتبع المطامع».

وإذا شئنا الرجوع إلى أوسع نص لتحديد مواصفات الحاكم المسلم، ففي عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك الأشتر حين ولاه على مصر فإن فيه غنى عن طرح أى دليل آخر، حيث اشتمل العهد المذكور على كل مستلزمات القيادة الصالحة، وما ينبغي أن تنهض به من مسؤوليات في حياة الأمة على الصعيد الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي، وسوى ذلك من شؤون.

كما حدد العهد بعمق واع كل ما يتطلبه المجتمع وما ينبغي للحاكم المسلم النهوض به عبر مسؤولياته القيادية كي يستجيب لطموحات الأمة التي يدير دفعة حياتها. [٣٢٥].

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن عهد الإمام (عليه السلام) إلى الأشتر قد انطوى على أفكار اجتماعية غاية في الأهمية، فقد تناول الإمام (عليه السلام) تركيبة المجتمع، والقوى المؤثرة، والقطاعات الضرورية فيه تناول خبير ملم بها، فقد درس الإمام (عليه السلام) أهمية القطاع الزراعي وأثر التجار والقضاء والولاء والجنود في مسيرة المجتمع وبناء الحضارة، وحدد كيفية التعامل مع تلك القوى الهامة في المجتمع، وحدد مسؤوليات السلطة العليا تجاه كل واحدة من تلك القوى الفاعلة في الحياة العامة، كما ذكر القطاعات

الضعيفه من أهل اليتيم والشيخوخه وسواهم مما يعتبر وجودهم طبيعياً في المجتمعات، فدرس حالهم وحدد العلاج لما يعانون. [٣٢٦]. وهذا وقد سبق الإمام (عليه السلام) علم الاجتماع في دراسته للمجتمع وتحديد المؤثرات فيه بزمان طويل، مما يستحق أن يحمل بجدارة لقب مؤسس علم الاجتماع والواضع للبناته الأولى، مع اختلاف على الرؤية والمنهج.

مصنفات الإمام وأعماله العلمية

اشاره

وأمر المؤمنين (عليه السلام) أول من صنف في دنيا المسلمين، ويحصى المؤرخون لسيرة الإمام (عليه السلام) عدداً من مؤلفات الإمام وأعماله العلمية تأتي في طليعتها.

جمع القرآن الكريم مرتباً حسب النزول

وبين في ذات الوقت عامه، وخاصه، ومطلقه، ومقيده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، وعزائمه ورخصه، وسننه، وآدابه. [٣٢٧] كما أشار الإمام (عليه السلام) إلى أسباب النزول لآيات الكتاب العزيز، حتى لقد قال ابن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم. [٣٢٨].

وجمع الإمام (عليه السلام) للقرآن الكريم على النمط المذكور إنما هو للتفسير أقرب منه للجمع الخالص، فقد أودع عمله ذلك علماً كثيراً، الأمة في ميسر الحاجة إلى مثله.

كما أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد تفرغ للعمل الرسالي الكبير، بعد حادثه السقيفة وما تمخض عنها من استخلاف أبي بكر، فعكف (عليه السلام) على إنجاز المهمة التاريخية في تدوين القرآن في مصحف واحد، ولقد روى عنه بهذا الصدد قوله: «لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقسمت أن لا أضع ردائي على ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن». [٣٢٩].

وبمقدور المرء أن يقدر قيمة ذلك العمل إذا وضع نصب عينيه ما يحظى به القرآن الكريم من قيمة عظيمة في دنيا المسلمين من الوجهة الفكرية والتشريعية والحضارية.

مصحف فاطمة

ويبدو أن الإمام (عليه السلام) بادر - بعد إنجاز مهمة جمع القرآن إلى تأليف كتاب لفاطمة الزهراء (عليها السلام) صار يعرف عند أبنائها بمصحف فاطمة، وكان يتضمن مواعظ وحكماء وأمثالاً وعبراً وأخباراً وأفكاراً مستقبلية لتكون عوناً على التخفيف من الآلام التي اكتنفت حياة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الصحيفة

وهي كتاب في الديات «وهي الأموال المفروضة في الجناية على النفس أو الطرف أو الجرح أو نحو ذلك وتثبت الديّة في موارد الخطأ المحض أو الشبه بالعمد أو فيما لا يكون القصاص فيه أو لا يمكن..». [٣٣٠].

وقد روى البخاري ومسلم من تلك الصحيفة، أوردها ابن سعد في كتابه الجامع، كما أكثر ابن حنبل الرواية عن هذه الصحيفة.

الجامعة

وهي في كتاب صحائف من الجلود، أملاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد تضمن كل ما يحتاج إليه الناس من حلال وحرام، وقد جاء الكتاب مفصلاً لما جاء في كتاب الله من أحكام وأوامر ونواه. وقد ورث الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) هذا الكتاب كابراً عن كابر، وكانوا يطلقون عليه تارة اسم الجامعة، وتارة الصحيفة، وأخرى كتاب علي، ورابعة الصحيفة العتيقة.

ووردت عن الصادقين (عليهم السلام) عدة روايات تؤكد أهمية كتاب الجامعة، وكونه مرجعهم في أخذ التشريع الإلهي، وأنهم لا يحتاجون إلى الناس لوجود ذلك الكتاب، فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «أن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليجتاجون إلينا، وأن عندنا كتاباً أملاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخطه علي (عليه السلام) صحيفة فيها كل حلال وحرام». [٣٣١]. ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً يصف فيه الجامعة «تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرض الخدش». [٣٣٢].

صحيفة الفرائض

ويبدو أن هذه الصحيفة قد دون فيها الإمام (عليه السلام) قضاءه في المواريث أو غيرها من أبواب القضاء، ومن المرجح أن تكون هذه الصحيفة بعضاً من الجامعة. [٣٣٣].

كتاب الجفر

«وهو لغة جلد الماعز أو البعير أو الثور»:

وقد أطلق اسم الجفر على أحد أبواب العلم الذي دونه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من أملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) على جلد، ويبدو أن كتاب الجفر غير الجامعة من ناحية الفكر الذي يتضمنه، فالجفر كما تفيد روايات الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ينطوي على حوادث المستقبل، وصحف الأنبياء السابقين والكتب المنزلة قبل القرآن الكريم. [٣٣٤]. وللإمام علي (عليه السلام) تصانيف أخرى وذكرها المؤرخون ككتاب زكاة النعم، وكتاب في أبواب الفقه، وكتاب في علوم القرآن وغيرها. [٣٣٥].

المصنفات في تراث الإمام الفكري

وبالرغم من أن الإمام (عليه السلام) قد دون عدداً من المؤلفات العظيمة فإنه يبدو أن مؤلفاته قد انصبت على ما قضت به الضرورة من حفظ الرسالة الإلهية وتوضيح معالمها للأجيال من خلال شرح القرآن الكريم، وتبيان بعض مقاصده، أو تحديد بعض أبواب الفقه الإسلامي، أم آراؤه وأفكاره الأخرى التي تحتل مركز الريادة في الفكر الإسلامي، والتي جاءت انعكاساً للرسالة الإلهية على صفحة ذهنه وعقله، فكانت خطباً ومناقشات وحكماً ومواعظ وتوجيهات ونحوها من أدوات التعبير عن ماهية الرسالة، فإن الإمام (عليه السلام) لم يتصد لجمعها في تصانيف محددة ومن المؤكد أن يكون جزء كبير منها قد اندرس بيد أن بعضاً من آرائه وأفكاره قد حظي بالتدوين بعد زمن طويل من وفاة الإمام (عليه السلام) ومن المرجح أن يمثل ذلك البعض نسبة قليلة جداً من عطائه الفكري العظيم عبر عمره الشريف.

فقد جمع العلماء بعض ما خلفه الإمام (عليه السلام) من مبادئ ومفاهيم في مؤلفات عديدة نذكر منها:

١- نهج البلاغة، جمعه الشريف أبو الحسن الرضی ابن الحسين الموسوی، المتوفى سنة ٤٠٤ للهجرة ويشتمل الكتاب على ما اختاره

الشريف من خطب الإمام (عليه السلام) وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه، وقد اهتم بالكتاب المذكور جل العلماء والمفكرين ورجال الأدب قراءة واستيعاباً وشرحاً، حتى بلغت شروحه خمسين شرحاً ومن الشراح للنهج: أبو الحسن البيهقي، والإمام فخر الدين الرازي، والقطب الراوندي، ومحمد ميثم البحراني، وعز الدين بن أبي الحديد المدائني، وغيرهم. ولقد انطوى نهج البلاغة على روائع في الفكر بشتى شعبه ومناحيه:

في العقائد والأخلاق ونظام الحكم وطبيعته المجتمع وعلاقة الإنسان بالله تعالى ونحو ذلك من أبواب. وهو إلى جانب ذلك جاء آية في الأدب الإنساني الرفيع الذي عز نظيره في أدب اللغة العربية دقة وعمقاً وتصويراً.

٢- مسنده الذي جمعه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ للهجرة وأسماء مسند علي، وقد ضمنه بعض ما أثر عن الإمام (عليه السلام) من أحاديث وروايات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٣- غرر الحكم ودرر الكلم، جمعه عبد الواحد بن محمد الآمدي، وهو يشتمل على طائفة من حكم الإمام (عليه السلام) القصيرة ويقارب في حجمه نهج البلاغة.

٤- مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب جمعه أبو إسحاق الوطواط الأنصاري ويحتوي على طائفة من حكم الإمام (عليه السلام).

٥- مائة كلمة جمعها الجاحظ.

٦- نثر اللآلئ جمع أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن.

٧- ما اشتمل عليه كتاب صفين لنصر بن مزاحم من خطب الإمام (عليه السلام) وكتبه.

٨- جنة الأسماء. شرحه الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ للهجرة.

٩- ما أثر عنه من الأدعية والمناجاة قد طبع بعضه باسم الصحيفة العلوية. جمعها عبد الله بن صالح السماهيجي.

١٠- قلائد الحكم وفرائد الكلم جمع القاضي أبي يوسف الإسفراييني، وغير ذلك من التصانيف. [٣٣٦].

انباء المستقبل

والمقصود بها هنا ما تحدث به الإمام (عليه السلام) عن أمور مستقبلية وشيكة الوقوع بعد عصره، منها ما يختص بأفراد معينين، ومنها ما يتعلق بمسيرة الأمة المسلمة كمجموع.

وبطبيعة الحال إن ما طرحه الإمام (عليه السلام) من هذا القبيل كان قد تلقاه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة، أو وعاه بنفسه بما أعطاه الله من طاقة روحية هائلة تمنحه القدرة على استقراء المستقبل والاستشراف على حوادثه وقواه المؤثرة، والجوانب الإيجابية فيه والسلبية.

ولقد رأينا في بداية هذا الفصل كيف أن الإمام (عليه السلام) يعلن على المنبر مراراً عن قدرته على كشف الكثير من أحداث المستقبل: «.. لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا نبأتكم بناتها وقائدها، وسائقها ومناخ ركبها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت موتاً..» [٣٣٧].

وإذا تتبعنا الفكر المستقبلي الذي حفظته لنا سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وجدناه - بالرغم من قلته بالقياس إلى غيره من أبواب فكر الإمام (عليه السلام) - آية على عظمة الإمام (عليه السلام) وسمو كيانه الروحي الذي أهله لمعرفة الكثير من أسرار المستقبل بما فيها من متغيرات في دنيا الأفراد والجماعات.

وهذه جملة مما حفظ لنا المؤرخون في هذا المضمون:

١- عن سويد بن غفلة أن علياً (عليه السلام) خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره، فقال: يا أمير المؤمنين، إني مررت بوادي

القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له، فقال (عليه السلام): - والله ما مات، ولا يموت حتى يقود جيش ضلاله صاحب لوائه حبيب بن حمار.

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال: - يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمار وإنى لك شيعه ومحب، فقال: أنت حبيب بن حمار؟ قال: نعم.

فقال له ثانية: والله إنك لحبيب بن حمار؟

فقال: أى والله!

فقال (عليه السلام): أما والله إنك لحاملها ولتحمّلنها، ولتدخلن بها من هذا الباب، «وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة» قال ثابت الشمالى - الذى روى الحديث عن سويد بن غفلة - فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى (حرب) الحسين بن على (عليه السلام) وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته، وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل. [٣٣٨].

٢- عن إسماعيل بن رجاء قال:

قام أعشى باهلة - وهو غلام يومئذ حدث - إلى على (عليه السلام) وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال:

يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!

فقال على (عليه السلام): إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال، فقالوا: - ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: - غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: - كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: - عشرين إن بلغها، قالوا: - فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: - بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء - راوى الحديث - فوالله لقد رأيت بعينى أعشى باهلة، أحضر فى جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدى الحجاج (بن يوسف الثقفى) فقرعه، ووبخه واستنشد شعره الذى يحرض فيه عبدالرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه فى ذلك المجلس. [٣٣٩].

٣- عن شمير بن سدير الأزدي قال:

قال على (عليه السلام) لعمر بن الحمق الخزاعى.

«يا عمرو إنك لمقتول بعدى وإن رأسك لمنقول وهو أول رأس ينقل فى الإسلام، والويل لقاتلك! أما إنك لا - تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك.

قال الأزدي - راوى الحديث - فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق الخزاعى فى خلافة معاوية فى بعض أحياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل فى قومه من بنى خزاعة، فأسلموه، فقتل، وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، وهو أول رأس حمل فى الإسلام من بلد إلى بلد. [٣٤٠].

٤- أخبار الإمام (عليه السلام) عن الضربة التى يضرب فى رأسه فتخضب منها لحيته بسيف ابن ملجم المرادى.

٥- أخباره بامتلاك معاوية لأمر المسلمين بعده.

٦- أخباره عن قتل الإمام الحسين (عليه السلام) فى كربلاء.

٧- أخباره عن الحجاج بن يوسف الثقفى وما يكون من فعله.

٨- أخباره عن حركة عبدالله بن الزبير وفشله وقتله.

٩- وعن هلاك البصرة بالغرق مرة وبسيطرة الزنج عليها أخرى.

١٠- وأخباره عن مقتل محمد صاحب النفس الزكية وأخيه إبراهيم بعد ثورتهم على العباسيين فى عهد أبى جعفر المنصور.

- ١١- وعن قيام الدولة العلوية في المغرب، ودولة بني بويه في العراق.
- ١٢- أخباره عبدالله بن العباس عن انتقال الحكم إلى أولاده وقيام الحكم العباسي.
- ١٣- وعن خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه وقيام دولة الإسلام المباركة. [٣٤١].
- ومن نافله القول أن نشير إلى أن نهج البلاغة ينطوي على الكثير من النصوص التي تناول الإمام (عليه السلام) فيها الحديث عن أمور مستقبلية، وقعت بعد عصره، وأخرى نعيش طرفاً منها. [٣٤٢].

طرف من مواعظ الإمام

وللإمام باع طويل في طرح المواعظ البليغة التي تحمل الحجج البالغة، فتعز السامع والقارئ، وتترك أثراً عظيماً في النفس. والموعظة عند علي (عليه السلام) تحمل مفاهيم وعطاء ثراً، تحدد للمسلم طريقه إلى الله وأساليب تفاعله مع رسالة الله تعالى ومع الناس من حوله.

وفضلاً عما حمله نهج البلاغة من مواعظ لأئمة المؤمنين (عليه السلام) فإن كتب الوعظ والإرشاد والتوجيه الإسلامي لا يكاد يخلو منها كتاب من ذكر بعض من مواعظ الإمام (عليه السلام).

ونذكر هنا طرفاً من مواعظه التي ضمنها نهج البلاغة:

«أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقله أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شعبها قصير، وجوعها طويل.

أيها الناس: إنما يجمع الناس الرضى والسخط، وإنما عقر ناقه ثمود رجل واحد، فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضى، فقال سبحانه: «فعمروها، فأصبحوا نادمين» فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحمأة في الأرض الخوارة.

أيها الناس، من سلك الطريق الواضح ورد الماء، ومن خالف وقع في التيه». - [٣٤٣].

«أيها الناس، إنما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، ولغيرها خلقتكم. إن المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟ لله آباؤكم: فقدّموا بعضاً يكن لكم قرصاً، ولا تخلّفوا كلاً فيكون فرضاً عليكم». - [٣٤٤].

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله، التي هي الزاد وبها المعاد: زاد مبلغ، ومعاد منج، دعا إليها أسمع داع، ووعاها خير واع، فأسمع داعيها، وفاز واعيها».

عباد الله إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت ليااليهم، وأظمأت هواجرهم فأخذوا الراحة بالنصب، والرى بالظماً، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا الأمل، فلاحظوا الأجل...». - [٣٤٥].

قبس من حكم الإمام

ونختم هذا الفصل بإيراد إضمامة من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) إتماماً للفائدة:

- ١- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.
- ٢- أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.
- ٣- من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.
- ٤- ما أضمر أحد شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.
- ٥- فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها.
- ٦- قيمة كل امرئ ما يحسنه.

- ٧- قال عليه السلام يصف الغوغاء: «هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا».
- ٨- عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار.
- ٩- أربع لو ضربتم فيهن أكباد الإبل، لكان ذلك يسيراً: لا يرجون أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي أن يقول لا أعلم إذا هو لم يعلم، ولا يستكبر أن يتعلم إذا لم يعلم.
- ١٠- اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم.
- ١١- الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق. [٣٤٦] والتقصير عن الاستحقاق في أحسد.
- ١٢- عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء.
- ١٣- من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.
- ١٤- الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله. [٣٤٧] ولم يؤمنهم من مكر الله.
- ١٥- رب عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه.
- ١٦- عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينيك.
- ١٧- لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: نكته، وغيبته، ووفاته.
- ١٨- الناس ثلاثة: فعالِم رباني، ومتعلم على سبيل نجاه وهمج رعا، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.
- ١٩- الناس أعداء ما جهلوا.
- ٢٠- من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها. [٣٤٨].
- وهكذا نصل إلى نهاية المطاف في حديثنا عن المقومات العامة لشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). وفقنا الله تعالى للأخذ بنهجته في الفكر والعمل أنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

باورقي

- [١] أنساب الأشراف: للبلاذري ج ٢ ص ١٧٧.
- [٢] راجع نماذج من ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٦١ وما بعدها ط دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩.
- [٣] كشف الغمة ج ١ فصل ذكر الإمام علي (عليه السلام).
- [٤] مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٨٣ والكفاية للحافظ الكنجي الشافعي وشرح الخريدة الغيبة في شرح القصيدة العينية لشهاب الدين السيد محمود الألوسي ص ١٥ ونور الأبصار للشبلنجي ص ٧٦ ومطالب السؤل ص ١١ لمحمد أبي طلحة الشافعي والمناقب للأمير محمد صالح الترمذی. نقلاً عن الغدير ج ٦ ص ٢٢ إلى ٣٨ لعبد الحسين الأميني ط ٣ سنة ١٩٦٧ بيروت.
- [٥] الفصول المهمة في معرفة الأئمة: لابن الصباغ المالكي: الفصل الأول ص ١٣.
- [٦] البحار ج ٣٥ ص ١٨.
- [٧] الفصول المهمة: لابن الصباغ الفصل الأول ص ١٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ١٥١.
- [٨] سيرة ابن هشام ج ١ باب ذكر أن علي بن أبي طالب أول ذكر أسلم ص ٢٨٤ و بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٤ وشرح النهج ج ١ ص ١٥.
- [٩] في رحاب علي: خالد محمد ص ٤٦ ط ٢ دار الأندلس بيروت وشرح النهج ج ١ ص ١٥١.

[١٠] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ نقلاً عن البلاذري والأصفهاني.

[١١] نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح ط ١٩٧١ ص ٣٠٠.

[١٢] علي بن أبي طالب عبدالفتاح عبدالمقصود ج ١ ص ٣٩.

[١٣] نهج البلاغة ص ٣٠١ (الخطبة القاصعة). تبويب د. صبحي الصالح.

[١٤] الخطبة القاصعة من نهج البلاغة ص ٣٠١ تبويب د. صبحي الصالح.

[١٥] إضافة إلى كتب التاريخ التي تصرح بأن علياً أول الناس إسلاماً فهناك عدة أحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تجسد

هذه الحقيقة. راجع المستدرک ج ٣ ص ١٣٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ومناقب الخوارزمي وحليّة الأولياء ج ١ ص ٦٦

والسيرة الحليّة ج ١ ص ٢٨٥ وسيرة زيني دحلان في هامش الحليّة ج ١ ص: ١٨٨ نقلاً عن الغدير ج ٣ ص ٢٤٢-٢٢ ط ١٩٦٧: ٣ بيروت.

[١٦] يراجع كتابنا: سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) ط بيروت.

[١٧] ج ١ ص ٢٥٩ مصطفى الحلي وأولاده بمصر ١٩٣٦ تحقيق مصطفى السقا وجماعة.

[١٨] الروضة من كتاب الكافي ج ٨ حديث إسلام علي (عليه السلام) وهناك أحاديث بهذا الصدد يرويها كل من النسائي وابن ماجه

والحاكم والطبري في تاريخه والرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨ وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٠٠ وغيرها راجع ٢٤٠-٢٢١ ج ٣ من

الغدير، علي أن تلك الروايات تشير إلى أن إيمان علي وعبادته قد سبق فيها الناس بسبع أو تسع سنين، وهي لا تخالف القول بثلاث

سنين أبداً فإن المراد بأنه سبق بالتصديق بالإسلام بعد الدعوة بثلاث سنين وسبق سواه بالإيمان والتعبّد مع الرسول (صلى الله عليه وآله)

في مرحلة الأعداد التي أشار إليها في خطبة القاصعة بسنوات أخرى.

[١٩] أخرج الحديث كل من: ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في سننه وفي دلائله، والثعلبي،

والطبري في تفسيرهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين، وأخرجه الطبري في تاريخ السيرة الحليّة ج ١ ص ٣٨١ والطحاوي،

والضياء المقدسي في مختاره، وأحمد بن حنبل ج ١ ص ١١١ وص ١٥٩ والنسائي في خصائصه ص ٦ وكنز العمال ج ٦ الحديث رقم

٦٠٠٨ والمفيد في إرشاده في مناقب علي (عليه السلام) وغير هؤلاء كثير وكلهم أوردوه بألفاظ متقاربة نقلاً عن المراجعات للسيد

شرف الدين ص ١٢ وما بعدها.

[٢٠] صور من حياة محمد: أمين دويدار ص ١٤٠ وفقه السيرة: للغزالي ص ١٠٣-١٠٢ يراجع الهامش أعلاه.

[٢١] صور من حياة محمد: أمين دويدار ص ١٤٠ وفقه السيرة: للغزالي ص ١٠٣-١٠٢ يراجع هامش رقم (١) ص ٢٢ من هذا الكتاب.

[٢٢] يراجع القسم الأول من كتاب سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) ط بيروت للمؤلف.

[٢٣] المصدر السابق - يراجع القسم الأول أيضاً.

[٢٤] بحار الأنوار ج ١٩ باب دخول الشعب، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٩٢ و ١٧٣ سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٠٤-٣٩٩ وعيون الأخبار

لابن قتيبة ج ٢ ص ١٥١ تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٩٧ و ٩٦ و ٨٤ السيرة الحليّة ج ١ ص ٣٦٧-٣٥٧ الكامل لابن الأثير: ٢ ص ٣٦٠ نقلاً عن

الغدير ج ٧ ص ٣٦٦-٣٦٣.

[٢٥] بحار الأنوار ج ٢١ باب غزوة مؤتة، ابن سعد في طبقاته ج ٤ ص ٢٣ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٧ البداية

والنهاية ج ٤ ص ٢٥٦ الاستيعاب ج ١ ص ٨١ نقلاً عن مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصبهاني باب ذكر مقتل جعفر بن أبي طالب ص ١٠

وما بعدها ط ١٩٧٠: ٢.

[٢٦] نفس المصدر السابق.

[٢٧] تاريخ الطبري ج ٢ ص: ٢٢٢ تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٨٤ مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٦٢٢ تاريخ ابن كثير ج ٣ ص: ١٢٢ «نقلاً

عن الغدير ج ٧ ص ٣٧٦ كشف الغمّة في معرفة الأنمّة ج ١ ص ١٦ وغيرها.

[٢٨] تفسير سورة الأنفال آية ٣٠ يراجع الميزان ج ٩ بحث روائي ص ٨٠.

[٢٩] أعيان الشيعة ج ٣ ط ٣ ص ١٥٥.

[٣٠] بحار الأنوار ج ٩ والروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٣٩ للكليني ط: طهران.

[٣١] الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ المالكي «فصل في شيء من شجاعته ص ٢٨.

[٣٢] أعيان الشيعة ج ٣ ط ٣ ص ١٥٥ «هجرته إلى المدينة».

[٣٣] أحمد بن يحيى البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩١ و ٩٤ ط: ١ سنة ١٩٧٤ بيروت: ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص: ١١١ وابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٥.

[٣٤] حياة أمير المؤمنين: محمد صادق الصدر ط ٢ سنة ١٩٧٢ ص ٢٣٠.

[٣٥] تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٧ وأحمد بن حنبل في الفضائل وابن هشام في السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٢ ودلائل الصدق: الشيخ محمد حسن الظفر ج ٢ ص ٣٥٧ ط قم. وحياة أمير المؤمنين: السيد الصدر ص ٢٣٦ وما بعدها والإرشاد للمفيد ص ٥٢.

[٣٦] تراجع سورة الأحزاب: ١٠.

[٣٧] السيرة النبوية: أحمد زيني دحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ «غزوة الخندق».

[٣٨] المصدر السابق.

[٣٩] مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ٣٢ عن سفيان الثوري ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٣ ص: ١٩ نقلاً عن فضائل الخمسة ج ١.

[٤٠] السيرة النبوية لدحلان: ج ٢ ص ٦ و ٧ «غزوة الخندق» أو إرشاد المفيد ص ٥٨.

[٤١] أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٣ و ٩٤ عن أبي هريرة وابن عباس بلفظ متشابه: وخصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص ٩ وما بعدها الطبعة الأولى ١٩٧٥ بيروت وفي الإصابة والاستيعاب وحلية الأولياء ومسلم في الصحيح بألفاظ متقاربة.

[٤٢] سيرة الرسول للسيد محسن الأمين نقلاً عن السيرة الحلبية وابن قتيبة في المعارف، وتفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ١٠ (تفسير) آية ٢٥ من التوبة والبحث الروائي والإرشاد للمفيد «غزوة حنين» ص ٨١.

[٤٣] للاستزادة يراجع كتاب الإمام علي: عبدالفتاح عبدالمقصود وأعيان الشيعة المجلد الثالث: للسيد محسن الأمين والإرشاد للشيخ المفيد وسيرة ابن هاشم والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي.

[٤٤] راجع أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٢ ط ١٩٧٤، ١ (ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١١١ وابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ١٠ وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٧٥) نقلاً عن فضائل الخمسة لمعركة الميزان ص ٣٠٩.

[٤٥] راجع صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، والحاكم في مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤٧ والبيهقي في سنة ج ٢ ص ١٤٩ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير الآيات، وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٠٩ وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٧ وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها.

[٤٦] صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٠ وأحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١٨٥ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير آية المباهلة والزمخشري في كشفه والفخر الرازي في تفسير الكبير وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ص ٢٤٤ وما بعدها.

[٤٧] يراجع الزمخشري في كشفه ج: ٢ والواحدى في أسباب النزول: ومجمع البيان للطبرسي في تفسير سورة الدهر: والحافظ محمد بن جرير الطبري كما في الكفاية: وابن عبدربه في العقد الفريد ج: ٣ ص: ٤٧-٤٢ والحاكم النيسابوري ذكره في مناقب فاطمة (عليها السلام) كما في الكفاية: وأبو إسحاق التلغلي في تفسيره «الكشف والبيان»: والألوسي في روح المعاني: والطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص: ٢٠٧ نقلاً عن الغدير للشيخ الأميني ج ٣ ص ١١١-١٠٧.

[٤٨] تفسير الطبري عن أنس ج ١٠ ص: ٥٩ وأسباب النزول للواحد ص: ١٨٢ والقرطبي في تفسيره ج ٨ ص: ٩١ والرازي في تفسيره ج ٤ ص: ٤٢٢ والخازن في تفسيره ج ٣ ص: ٢٢١ وأبوالبركات النسفي ج ٢ ص: ٢٢١ والدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص: ٢١٨ وغيرهم مع اختلاف في التفاصيل والألفاظ.

[٤٩] مستدرک الصحيحين ج ٣ ص: ١٢٦ ومناقب أحمد بن حنبل وأبوعيسى الترمذی فی جامعہ الصحيح: وکنز العمال ج ٦ ص: ٤٠١ وأسـد الغابـة ج ٤ ص: ٢٢ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٤ ص: ٣٤٨ نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها.

[٥٠] مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص: ١٧٤ ومسند أبي داود ج ٢ ص ٢٨ والبخاري في باب غزوة تبوك ومسلم الترمذی وغير هؤلاء نقلاً عن المراجعات ص-١٣٣ ص ١٣٦.

[٥١] صحيح الترمذی ج ٢ ص: ٢٢٩ وأحمد بن حنبل ج ٦ ص: ٢٩٢ والنسائي ومستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٢٩ وغيرهم راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٠٧ وغيره.

[٥٢] صحيح ابن ماجه وصحيح الترمذی ج ٢ ص: ٢٩٩ والنسائي في الخصائص ص ٣ و١٨ ومستدرک الصحيحين ج ٣ ص: ١٤ ومسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٩ وغيرها مع اختلاف في الألفاظ يسير.

[٥٣] تفسير البيضاوي: ومجمع البيان للطبرسي: وأبو إسحاق الثعلبي في تفسيره: والطبري في تفسيره ج ٦ ص: ١٦٥ والواحد في أسباب النزول ص: ١٤٨ والخازن في تفسير ج ١ ص: ٤٩٦ والرازي في تفسيره ج ٣ ص: ٤٣١ وأبوالبركات النسفي ج ١ ص: ٤٩٦ والنيسابوري في تفسيره ج ٣ ص: ٤٦١ وابن حجر في الصواعق ص ٢٥ وغيرها نقلاً عن: أعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص-١٣٠ ص ١٣٤ وخلفاء الرسول الإثنا عشر ص ١٠٣ وما بعدها.

[٥٤] اللفظ لصحيح ابن ماجه ص ١٢.

[٥٥] مسند ابن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ فقد نص عليه قائلًا- رواه ثلاثون صحابيًا، وأخرجه أيضاً النسائي في خصائص علي ابن أبي طالب بعده طرق والترمذی والطبراني: عن زيد بن أرقم والفخر الرازي في تفسير آية «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» وكنز العمال ج ١ ص: ٤٨ ومستدرک الصحيحين وسواهم. نقلاً عن كتاب الغدير تأليف العلامة الأميني- أمير-٥ ج ١.

[٥٦] تاريخ البغدادي ج ١٤ ص: ٣٢١ والهيثمي في مجمعه ج ٧ ص: ٢٣٥ وكنز العمال ج ٦ ص: ١٥٧ وتفسير الرازي ج ١ ص: ١١١ وغيرهم مع اختلاف في الألفاظ. نقلاً عن علي والوصية ص ١١٣.

[٥٧] تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص: ١٨٦ والهيثمي في مجمعه ج ٧ ص ٢٣٦ وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٥ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

[٥٨] ينابيع المودة سليمان الحنفی «باب عهد النبي لعلی وجعله وصياً» والذهبي في ميزان الاعتدال والسيوطي في اللثاليء والديلمي في كنوز الدقائق ومناقب أحمد بن حنبل وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ والمعجم الكبير للطبراني والمحب الطبري في الذخائر وغيرهم نقلاً عن علي والوصية لنجم الدين العسكري ١٩٤.

[٥٩] «ومن شاء المزيد فليراجع ينابيع المودة: للشيخ القندوزي الحنفی والفصول المهمة لابن الضباع المالكي وفضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي ومسند أحمد بن حنبل وكتاب المراجعات للسيد عبدالحسين شرف الدين وعلي والوصية للشيخ نجم الدين العسكري وغيرها».

[٦٠] مناقب الخوارزمي عن عائشة ومسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص: ٣٠٠ وذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٧٣ وغيرها يراجع علي والوصية ص ٢١١-٢٠٦.

[٦١] أخرجه النسائي وأبوداود وابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده.

- [٦٢] أخرجه الترمذى برقم ٨٧٤ من أحاديث كنز العمال ج ١ ص ٤٤ ومسنند ابن حنبل ج ٥ ص ١٨٢ وص ١٨٩ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤٨ وغيرها.
- [٦٣] أخرجه البخارى ج ١ كتاب العلم ص ٢١ ومسلم فى آخر الوصايا من صحيحه ج ٣ ص: ٢٥٩ وأحمد بن حنبل فى مسنده ج ١ وغيرهم.
- [٦٤] راجع صحيح البخارى ج ٤ ص ١٩٤ وتراجع السقيفة: للشيخ محمد رضا المظفر ونظام الحكم والإدارة فى الإسلام: لمحمد مهدى شمس الدين للتفاصيل.
- [٦٥] تاريخ ابن كثير ج ٥ ص: ٢٧١ وتاريخ أبى الفداء ج ١ ص ١٥٢ نقلاً عن الغدير ج ٧ ص ٧٥.
- [٦٦] السقيفة ص ١٦٠ ط ١٩٧٣، بيروت.
- [٦٧] المراجعات: للحجة السيد شرف الدين ص ٣٠٢.
- [٦٨] من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشر حين ولاه إمارتها ص ٤٥١ من نهج البلاغة تبويب الدكتور صبحى الصالح ط ١، ١٩٦٧ بيروت.
- [٦٩] تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١١١ نقلاً عن على والخلفاء للعسكرى ص ٦٢.
- [٧٠] مناقب آل أبى طالب ج ٢ ص ١٧٨ وبحار الأنوار ج ٤٠ عن الكافى.
- [٧١] كنز العمال ج ٣ ص ٩٩ نقلاً عن على والخلفاء ص ٦٣.
- [٧٢] على والخلفاء ص ٦٠ نقلاً عن التستري: قضاء أمير المؤمنين ص ٦٦ ط: ١ سنة ١٣٦٩ هـ النجف الأشرف.
- [٧٣] مناقب آل أبى طالب ج ٢ ص ١٨٠.
- [٧٤] نهج البلاغة تبويب د. صبحى الصالح ط ١ ص ١٩٢ احفز: ادفع وسق، أهل البلاء: أهل المهاره فى الحرب، مثابة: مرجع.
- [٧٥] على والخلفاء: نجم الدين العسكرى ص ٨٣ نقلاً عن أحمد بن حنبل فى المسند ج ١ ص ٩٤ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٩.
- [٧٦] كنز العمال ج ٧ ص ١٤٧ وصحيح البخارى ٧٢٧: ١٩ وغيره نقلاً عن على والخلفاء ص ٨٧.
- [٧٧] سنن البيهقى وتاريخ الطبرى وكنز العمال ج ٣ ص ١٠١ وشرح الموطأ للزرقانى ج ٤ ص ٢٥ وغيره. نقلاً عن على والخلفاء ص ٩٠.
- [٧٨] كنز العمال ج ٣ ص ٩٦ والفتوحات الإسلاميه ج ٢ ص ٤٨٢ نقلاً عن على والخلفاء ص ٩٨.
- [٧٩] مناقب آل أبى طالب. ج ٢ ص ١٩١ وعلى والخلفاء ص ١٠٢.
- [٨٠] على والخلفاء ص ١٣٣ نقلاً عن ثمرات الأوراق فى المحاضرات لابن الحجة الحموى الحنفى. ج ٢ ص ١٥ ط ١٣٦٨.
- [٨١] على والخلفاء ص ٢٣٩.
- [٨٢] تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٥٣ وفى تاريخ يعقوبى مثله وكنز العمال ومستدرک الحاكم والكامل لابن الأثير نقلاً عن على والخلفاء ص ٢٤٠.
- [٨٣] مناقب آل أبى طالب ج ٢ ص ١٩٢ وعجائب أحكام أمير المؤمنين: محمد ابن على القمى (ره) ص ٤٣.
- [٨٤] المناقب ص ١٩٢ وابن كثير فى تفسيره ج ٤ ص ٥٧ والبيهقى فى سننه ج ٧ ص ٤٤٢.
- [٨٥] الدر المنثور للسيوطى ج ٣ ص ١٤٤ وسيرة عمر لابن الجوزى ص ١٠٦ والفتوحات الإسلاميه لدحلان ج ٢ ص ٤٨٦ وغيرها، نقلاً عن على والخلفاء للشيخ نجم الدين العسكرى ومناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج ٢ والغدير ج ٦ وج ٧ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للمفسر الجليل محمد بن إبراهيم القمى.
- [٨٦] نهج البلاغة ص ١٣٦ تبويب الدكتور صبحى الصالح.
- [٨٧] المصدر السابق والصفحة ذاتها.

[٨٨] نهج البلاغة رقم ١٣١ تبويب صبحي الصالح. نهيمته: شهوته الشديدة وحرصه المفرط.

الحائف: الجائر، الظالم.

الدول: المال، والحائف للدول معناه الذي يظلم في توزيع الأموال فيفضل جماعة على أخرى.

المقاطع: الحدود التي حددها الله تعالى.

[٨٩] شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج ١ ص ٢٦٩.

[٩٠] من عهده (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، نهج البلاغة ص ٣٨٣ تبويب د. صبحي الصالح. آس: ساو بينهم.

حيفك لهم: ظلمك من أجلهم.

[٩١] وصيته إلى عبدالله بن عباس حين استخلفه على البصرة نهج البلاغة، د. صبحي الصالح رقم ٧٦.

سع الناس: أشملهم برعايتك في كل جانب من جوانب الحياة.

طيرة: طيش وخفة.

[٩٢] نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح ص ٤١٦.

مأدبة طعام: طعام دعوة أو عرس.

يستطاب لك: يطلب لك طيبها.

الألوان: أصناف الطعام.

الجفان: جمع جفنة وهي القصعة.

العائل: المحتاج.

المجفو: مطرود (من الجفاء)

قضم: أكل بطرف أسنانه.

المقضم: المأكل.

الفظه: اطرحه، لا تأكله.

الطمر: الثوب البالي.

طعمه: ما يطعمه ويفطر عليه.

قرص: رغيغ خبز.

السداد: الإحتراز من الخطأ.

[٩٣] المرجع السابق ص ٤١٥ أعتما مك: اختارك وأصله أخذ العيمة: وهي خيار المال.

[٩٤] المرجع السابق ص ٤١٢ جردت الأرض: إشارة إلى الخيانة بتخريب الأراضي.

[٩٥] المعور: الذي عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب.

[٩٦] نهج البلاغة، وصيته (عليه السلام) رقم ١٤ ص ٣٧٣ د. صبحي الصالح.

[٩٧] نفس المصدر من كتاب له إلى أمراء جيشه رقم ٥٠ ص ٤٢٤.

[٩٨] نهج البلاغة من كتاب له إلى أعماله على الخراج رقم ٥١ تبويب د. صبحي الصالح.

[٩٩] لا تخذج بالتحية: لا تبخل بالسلام عليهم والسؤال عن أحوالهم.

[١٠٠] نهج البلاغة كتاب لمن يستعمله على الصدقات رقم ٢٥.

[١٠١] روائع نهج البلاغة: جورج جرداق ص ١٦٣، الخزامة: حلقة من شعر توضع في وتر أنف البعير يشد بها زمامه ويسهل قياده.

- [١٠٢] أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٣٦.
- [١٠٣] شرح النهج تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: ١٣٩٧ هـ ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩.
- [١٠٤] مثل يضرب، أراد به الإمام (عليه السلام) أنه لم يصب شيئاً من مال المسلمين بل وضعه في موضعه. تذكره. الخواص: سبط ابن الجوزي ص ١١٧.
- [١٠٥] نهج البلاغة من كتاب له إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥ ص ٤١٨.
- [١٠٦] من سورة هود: ٨٥ راجع بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٠٤ من آمالي الصدوق وتذكره الخواص ص ١٣٤ وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٢٩ مع اختلاف يسير في الألفاظ.
- [١٠٧] تذكره الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٢٥.
- [١٠٨] كتابه لعثمان بن حنيف نهج البلاغة رقم النص ٤٥، التبر: فتات الذهب والفضة قبل الصياغة. الوفر: المال الطمر: الثوب الخلق البالي. أتان دبرة: التي عقر ظهرها فقل أكلها.
- [١٠٩] تذكره الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٢١ وعبقريه الإمام للعقاد ص ١٦ ط بيروت ١٩٦٧.
- [١١٠] نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح رقم ٢٠٩ ص ٣٢٤. يتبيغ: يستبد به ألم الفقر.
- [١١١] تذكره الخواص ص ٦٨.
- [١١٢] شرح في نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.
- [١١٣] المرجع السابق ص ٢٠١.
- [١١٤] نفس المرجع ص ٢٠٢.
- [١١٥] تذكره الخواص ص ١٢١.
- [١١٦] المرجع السابق ص ١٢٥ المدرعة: ثوب صوفي غليظ.
- [١١٧] أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٣٢.
- [١١٨] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.
- [١١٩] بحار الأنوار ج ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ في المسابقة بالزهد. حجلة: ستر يضرب للعروس في الليل.
- [١٢٠] نفس المصدر.
- [١٢١] نفس المصدر. أكاف: كساء يوضع على ظهر الدابة، الفقه: إناء من خوض النخل.
- [١٢٢] نهج البلاغة رقم النص ٢٢٤.
- [١٢٣] علي بن أبي طالب - نظرة عصرية جديدة: تأليف د. محمد أحمد خلف الله وعدد من الكتاب ص ٣٢.
- [١٢٤] نهج البلاغة رقم النص ٢٠٥ د. صبحي الصالح ط ١٠ بيروت ١٩٦٧.
- [١٢٥] الإمام علي وفضائله ص ١٧٥، دار مكتبة الحياة: بيروت.
- [١٢٦] الفصول المهمة: لابن الصباغ المالكي ص ٥٠ ويراجع نص كتاب الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة رقم ٧٥ تبويب د. صبحي الصالح «باب الكتب» ص ٤٦٤.
- [١٢٧] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١.
- [١٢٨] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٥٤ «شرح كتاب الإمام (عليه السلام) إلى معاوية رقم ٣٧.
- [١٢٩] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١.
- [١٣٠] شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

- [١٣١] نهج البلاغة: تبويب د. صبحي الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤.
- [١٣٢] المصدر السابق.
- [١٣٣] المصدر السابق.
- [١٣٤] الطبري وابن الأثير وغيرهما (نقلًا عن أحاديث أم المؤمنين عائشة ص ٩٨).
- [١٣٥] الطبري وأنساب الأشراف والمعارف لابن قتيبة وسواهم «نقلًا عن المصدر السابق ص ٩٩.
- [١٣٦] تاريخ الطبري وأنساب الأشراف للبلاذري «نقلًا عن المصدر السابق ص ١١٣.
- [١٣٧] شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٥-٦.
- [١٣٨] الفصول المهمة ص ٥٥ لابن الصباغ المالكي.
- [١٣٩] الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ابن الصباغ المالكي ص ٦٣ وتذكره الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦٧.
- [١٤٠] الفصول المهمة: للمالكي ص ٦٢ وتذكره سبط ابن الجوزي.
- [١٤١] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٦٢، وتذكره سبط ابن الجوزي.
- [١٤٢] أحاديث أم المؤمنين عائشة ق ١ ص ١٨١، نقلًا عن اليعقوبي وكنز العمال.
- [١٤٣] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٧٠.
- [١٤٤] نفس المصدر السابق ص ٧١.
- [١٤٥] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، وتذكره الخواص لسبط ابن الجوزي، بلفظ متقارب.
- [١٤٦] نفس المصدر السابق.
- [١٤٧] تذكره الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٠٣.
- [١٤٨] راجع الفصول المهمة ص ٧٨ وتذكره الخواص ص - ١٠٣.
- [١٤٩] تذكره الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٤.
- [١٥٠] نفس المصدر ص ٧٩.
- [١٥١] يوليوس فلهوزن: الخوارج والشيعة ترجمة عبدالرحمن بدوي ط ٢، ١٩٧٦ كويت ص ٣٢.
- [١٥٢] وقعة صفين: نصر بن مزاحم ط ٢، ١٣٨٢ هـ ص ٥١٧.
- [١٥٣] النحل: ٩١ راجع وقعة صفين: نصر بن مزاحم ص ٥١٧.
- [١٥٤] الفصول المهمة: للمالكي ص ٩١.
- [١٥٥] المصدر المتقدم ص ٩٢.
- [١٥٦] أعيان الشيعة ج ٣، ص ٢٠ (عن الطبري) والفصول المهمة ص ٩٣.
- [١٥٧] أخرجه البخاري في صحيحه نقلًا عن الفصول المهمة ص ٩٤ أو البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢، ص ٣٧٦ عن علي (عليه السلام) بلفظ آخر، وخصائص النسائي ص ٧١.
- [١٥٨] نهج البلاغة رقم الخطبة ١٨٢.
- [١٥٩] نهج البلاغة: ترتيب د. صبحي الصالح، ص ٤٢١ رقم ٤٧.
- [١٦٠] نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح خطبة رقم ١٩٢ «القاصعة».
- [١٦١] خصائص الإمام علي بن أبي طالب - للنسائي ط ١ بيروت ١٩٧٥، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٨.

- [١٦٢] نفس المصدر ص ٤٨.
- [١٦٣] نفس المصدر ص ٦٥ وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده والكنجي والمحب الطبري وغيرهم نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ٧٨-٧٧ مط الأعلمی كربلاء.
- [١٦٤] جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء ج ١ ص ٩٦ وابن عساكر من حديث أبي بكر وعثمان وعائشة وسواهم، وأخرج الحديث الكنجي الشافعي في الكفاية والخوارزمي في المناقب، نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ٧-٦ مط الأعلمی - كربلاء.
- [١٦٥] أخرجه أبو نعيم في الحلية ورواه الديلمي في فردوس الأخبار والحمويني في الفرائد وغيرهم نقلاً عن المصدر السابق ص ٧.
- [١٦٦] أخرجه أحمد بن حنبل والترمذي في جامعه الصحيح نقلاً عن فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم على الحافظ أحمد بن محمد الغماري ط ٢، ١٩٦٩.
- [١٦٧] أخرجه جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء وابن عساكر في تاريخه الكبير والمناقب للخطيب الحنفي نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ١٢.
- [١٦٨] وأخرجه ابن حنبل في المناقب أيضاً وأخرجه كذلك أبو نعيم في الحلية والترمذي وغيرهما، نقلاً عن علي والوصية ص ٣٤٧-٣٤٦ بألفاظ متشابهة.
- [١٦٩] الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨ والكنجي الشافعي في الكفاية والفصول المهمة - لابن الصباغ المالكي وأنساب الأشراف للبلاذري نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ٣٢ ط الأعلمی.
- [١٧٠] الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير ج ٤ ص ٣٢١ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة وكنز العمال والزمخشري في ربيع الأبرار والحمويني في فرائد السمطين وغيرهم، نقلاً عن علي والوصية ص ١١٣.
- [١٧١] الكنجي الشافعي في كفاية الطالب والحافظ في أماليه وغيرها، نقلاً عن علي والوصية ١٦٧.
- [١٧٢] أخرجه الديلمي عن ابن عمر، يراجع كنز العمال ج ٦ ص ١٦٥ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٦ أخرجه عن عمر بن الخطاب نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ١٥ ط الأعلمی - كربلاء.
- [١٧٣] راجع تفسير الآية في كل من: تفسير البيضاوي ومجمع البيان للطبرسي، وأبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، والطبري في تفسيره، والواحدى في أسباب النزول، وأبو البكرات النسفي في تفسيره، والنيسابوري في تفسيره، والشبلنجي في نور الأبصار وابن حجر في صواعقه المحرقة وغيرهم. نقلاً عن فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج ١ وأعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ وما بعدها.
- [١٧٤] لفظ صحيح ابن ماجه ص ١٢.
- [١٧٥] مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ وقد نص على أن الحديث رواه ثلاثون صحابياً. وقد أخرج الحديث غيره كالنسائي في الخصائص والطبراني عن زيد بن أرقم والفخر الرازي في تفسير آية (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) وكنز العمال ج ١ ص ٤٨ ومستدرک الصحيحين نقلاً عن كتاب الغدير ج ١ للشيخ عبدالحسين الأميني.
- [١٧٦] الموفق بن أحمد الحنفي في مناقبه والحمويني الشافعي في فرائد السمطين وفي مسند أحمد بن حنبل حديث الوصية يشبهه وللثعلبي في الكشف والبيان وابن المغازلي مثله نقلاً عن علي والوصية ص ٢٣٥.
- [١٧٧] كتاب «الغدير» للشيخ عبدالحسين الأميني و «دلائل الصدق» للشيخ محمد حسن المظفر و «وأحق الحق» للقاضي التستري و «عبرات الأنوار» للسيد مير حامد حسين و «المراجعات» للسيد عبدالحسين شرف الدين.. وغيرها.
- [١٧٨] فاروق الأمة رواه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الطبراني والبيهقي وكنز العمال وسواهم نقلاً عن المراجعات ص ١٧٠.
- [١٧٩] القسم الثالث من سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) للمؤلف.
- [١٨٠] الشوحط: شجر يتخذ منه القسي.

- [١٨١] المغيلات: النخل الوارف الظلال.
- [١٨٢] بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٢-١١ نقلاً عن أمالي الصدوق والأنوار العلوية للشيخ جعفر النقدي ط ٢ ص ١١٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٨٩.
- [١٨٣] نفس المصدر ص ١٦ عن الخصال للصدوق ونهج البلاغة باب الحكم رقم ١٠٤ مع اختلاف يسير في الألفاظ.
- [١٨٤] البحار ج ٤١ ص ١٧ ليلة الهرير: من ليالي صفين الحاسمة التي اشتبك الفريقان فيها طوال الليل دون هواده.
- [١٨٥] نفس المصدر ص ١٧.
- [١٨٦] نفس المصدر ص ١٥.
- [١٨٧] نفس المصدر السابق ص ١٧.
- [١٨٨] نفس المصدر ص ٢٣ أشار إلى أنه عليه السلام مع تقدم سنه بقي ملتزماً بمنهجه في العبادة والإكثار في الصلاة.
- [١٨٩] بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٤٤.
- [١٩٠] المصدر المتقدم.
- [١٩١] أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٨٠ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ نقلاً عن البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.
- [١٩٢] حث الورق عن الشجر: قشره.
- [١٩٣] الربق: حبل فيه عدة عرى كل واحدة ربقه.
- [١٩٤] الحمة: عين ماء حار يستشفى فيها من المرض.
- [١٩٥] الدرن: الوسخ.
- [١٩٦] نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح ص ١٩٩.
- [١٩٧] مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب المازندراني.
- [١٩٨] نهج البلاغة من كتاب إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥ ص ٤١٦.
- [١٩٩] بحار الأنوار ج ٤١ ص ١ نقلاً عن التوحيد للصدوق.
- [٢٠٠] نفس المصدر ص ٦ نقلاً عن أصول الكافي.
- [٢٠١] نفس المصدر.
- [٢٠٢] مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٩٤ ط ١ المطبعة العلمية قم.
- [٢٠٣] على وحقوق الإنسان، جورج جرداق ص ٧٥ ط ١٩٧ بيروت.
- [٢٠٤] بحار الأنوار ج ٤ ص ٣٣٠ عن المحاسن.
- [٢٠٥] مناقب ابن شهر آشوب ج ٥١ ص ٣٦.
- [٢٠٦] تذكرة الخواص ص ١١٧.
- [٢٠٧] نفس المصدر ص: ١١٨ يبسه: يضع عليه السمن، والإهالة الشحم أو ما أذيب منه ونحوهما من أدام.
- [٢٠٨] تذكرة الخواص ص ١٢٠.
- [٢٠٩] نفس المصدر والإمام على بن أبي طالب - محمد رضا ص ١٢.
- [٢١٠] مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٦٦ عن الإحياء للغزالي.
- [٢١١] للاستزادة من شواهد زهد الإمام (عليه السلام) راجع بحار الأنوار: ٤٠ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني ج ١ وغيرهم.

- [٢١٢] كتابه إلى عثمان بن حنيف رقم النص في نهج البلاغة ٤٥ باب الرسائل، التبر، فتات الذهب والفضة قبل الصياغة. الوفر: المال. الطمر: الثوب. الخلق البالي. إتان دبرة: التي عقر ظهرها فقل أكلها.
- [٢١٣] البحار ج ٤١ ص ٧٧ عن الكافي ج ٥.
- [٢١٤] نفس المصدر ص ٤٠ عن الكافي ج ٧.
- [٢١٥] المناقب - لابن شهر آشوب ص ٣٤٦ والبحار ج ٤١: ١ ص ٤٣ عن كشف المحجّة لابن طاووس.
- [٢١٦] مررنا مروراً عابراً على مواقف الإمام وبطولاته العسكرية في القسم الأول فراجع.
- [٢١٧] شرح النهج ج ١ ص ٢٢.
- [٢١٨] نفس المصدر.
- [٢١٩] راجع الحلقة الأولى من دراستنا أمير المؤمنين (عليه السلام) فصل بأس في الحرب.
- [٢٢٠] راجع تفسير الآية في الكشف للزمخشري والواحدى في أسباب النزول وابن الأثير في أسد الغابة - يشرى - يبيع.
- [٢٢١] تفسير الطبري عن أنس ج ١٠ ص ٥٩ وأسباب النزول للواحدى ص ١٨٢ والقرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ والرازي في تفسيره والنسفي والسيوطي وسواهم، نقلاً عن فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٧٩.
- [٢٢٢] تذكرة الخواص ص ١٢٨-١٢٧ والإمام على بن أبي طالب - محمد رضا ص ١٢ تشوقت: تزينت.
- [٢٢٣] راجع القسم الثالث من سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) للمؤلف.
- [٢٢٤] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥.
- [٢٢٥] نهج البلاغة ص ١٣٦ تبويب صبحي الصالح. المحجّة: الطريق، تنكرت: تغيرت علائمها وأصبحت مجهولة.
- [٢٢٦] نفس المصدر.
- [٢٢٧] نفس المصدر.
- [٢٢٨] نفس المصدر.
- [٢٢٩] نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح رقم النص ٢٢٤.
- حسك: شوك. السعدان: نبت ضائك ترعاه الإبل.
- [٢٣٠] روائع من نهج البلاغة ص ١٢٣.
- [٢٣١] نهج البلاغة رقم النص ١٣٦.
- [٢٣٢] تذكرة الخواص ص ١٢٥.
- [٢٣٣] تذكرة الخواص ص ١٢٥.
- [٢٣٤] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.
- [٢٣٥] المناقب للمازندراني ج ٢ ص ٩٧ عن أحياء العلوم للغزالي.
- [٢٣٦] من حديث للإمام الصادق (عليه السلام) البحار ج ٤٠ ص ٣٣٠.
- [٢٣٧] مناقب ابن شهر آشوب ج: ١ ص ٣٧٨.
- [٢٣٨] المصدر السابق نفسه.
- [٢٣٩] نفس المصدر السابق ص ٣٧٧.
- [٢٤٠] البحار ج ٤١ ص ١١٥ ونهج البلاغة رقم النص ٢٣٢.
- [٢٤١] المناقب ص ٣٧٧.

- [٢٤٢] نهج البلاغة رقم النص ١٣١.
- [٢٤٣] نهج البلاغة رقم النص ٢١٦.
- [٢٤٤] راجع البحار ج ٤١ ص ١٠٤ للاطلاع على منهجه في مراقبة حالة السوق.
- [٢٤٥] على وحقوق الإنسان - جورج جرداق ط بيروت ١٩٧٠ ص ٨٧.
- [٢٤٦] وصيته لعبد الله بن عباس حين ولاه البصرة رقم النص ٧٦ نهج البلاغة.
- [٢٤٧] نفس المصدر - عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر حين ولاه مصر. طيرة: خفة وطيش.
- [٢٤٨] منهج البلاغة رقم النص - ٢٥ لا تخذع بالتحية: لا تبخل بها عليهم.
- [٢٤٩] من وصيته لصاحب الخراج على القادسية وسواد الكوفة. انظر بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٢٨ نقلاً عن الكافي، العفو الفاضل عن النفقة.
- [٢٥٠] راجع نهج البلاغة رقم النص ١٤ وغيره.
- [٢٥١] مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧٢.
- [٢٥٢] نفس المصدر نقلاً عن فضائل ابن حنبل.
- [٢٥٣] المناقب ص ٣٧٢ وبحار الأنوار: ج ٤١ ص ٥٤.
- [٢٥٤] البحار ص ٥٥ عن المحاسن والكافي عن الصادق (عليه السلام).
- [٢٥٥] المناقب ص ٢٧٢ والبحار ج ٤١ ص ٥٥.
- [٢٥٦] للتفاصيل راجع الحلقة الثانية من هذه الدراسة وبعضاً من فصول هذه الحلقة: كزه الإمام (عليه السلام) وإقرار العدل.
- [٢٥٧] بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٦ وعلى وحقوق الإنسان - جرداق ص ٨٧.
- [٢٥٨] الكافي ج ٥ باب التسليم على النساء حديث رقم ٣.
- [٢٥٩] مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧٤.
- [٢٦٠] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥.
- [٢٦١] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥ تلعباً: كثير المرح واللعب.
- [٢٦٢] المناقب ج ١ ص ٣٨١.
- [٢٦٣] المناقب ج ١ ص ٣٨ ونهج البلاغة نص ٧٣.
- [٢٦٤] شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢.
- [٢٦٥] بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٠ نقلاً عن النهاية. الكراع: جمع الخيل.
- [٢٦٦] المناقب ج ١ ص ٣٨١ عن ابن بطّة والسجستاني.
- [٢٦٧] الإمام على بن أبي طالب - محمد رضا ص ٢٢٣.
- [٢٦٨] نفس المصدر ص ١٧٣.
- [٢٦٩] المناقب ج ١ ص ٣٧٩.
- [٢٧٠] نفس المصدر ص ٢٨٠ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٩.
- [٢٧١] بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٠٦ باب ١٢٧.
- [٢٧٢] تذكرة الخواص ص ٧٦.
- [٢٧٣] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٦١ وفي تذكرة الخواص رواية مشابهة وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢

ص ١٧٦ مثلها.

[٢٧٤] الفصول المهمة ص ٦٢ وتذكره الخواص أيضاً.

[٢٧٥] راجع القسم الثاني من هذه الدراسة.

[٢٧٦] بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣.

[٢٧٧] راجع القسم الثاني من هذا الكتاب.

[٢٧٨] عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر نهج البلاغة رقم ٥٣ ص ٤٢٦.

[٢٧٩] الإمام على رجل الإسلام المخلد - عبد المجيد لطفى ص ٥٣ وأعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٥٦- ١٥٧.

[٢٨٠] يراجع القسم الثاني من هذا الكتاب.

[٢٨١] مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٠ ومناقب الخوارزمي عن عائشة.

[٢٨٢] نهج البلاغة من كلام له (عليه السلام) رقم ٢٣٥. أنفدنا: أفنينا. ماء الشؤون: منابع الدمع.

الداء مماطلاً: مماطلاً بالشفاء.

المد محالفاً: الحزن ملازماً.

قلا: محالفة الحزن ومماطلة الشفاء قليلاً لك.

[٢٨٣] راجع القسم الأول من هذا الكتاب.

[٢٨٤] نهج البلاغة رقم النص ٢٠١ التأسى: الاعتبار. هضم: ظلم. الفادح: المثقل. إحقاء السؤال: الاستقصاء فيه. التعزى: التصبر. القالى:

المبغض. ملحودة القبر: الجهة المشقوقة. السثم: الضجر. مسهد: اشتد منه الأرق.

[٢٨٥] نهج البلاغة أواخر خطبة رقم ١٨٢. أبرد برؤوسهم: أرسلت رؤوسهم بالبريد إلى الطغاة للتشفى منهم. أوه: كلمة توجع.

[٢٨٦] شرح النهج ج ١ ص ٢٢.

[٢٨٧] فى القسم الثانى والثالث من هذا الكتاب.

[٢٨٨] شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٧ وما بعدها ط ١، ١٩٥٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

[٢٨٩] روى هذا الحديث باختلاف يسير فى اللفظ: مسلم فى الصحيح، والحاكم فى مستدرک الصحيحين وأحمد بن حنبل فى: مسند

والمتقى فى كنز العمال، وغيرهم.

[٢٩٠] نهج البلاغة الخطبة القاصعة. رقم ١٩٢.

[٢٩١] أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٨ البلاذرى.

[٢٩٢] خصائص الإمام على بن أبى طالب للنسائى ص ٤٩.

[٢٩٣] أخرجه الترمذى فى صحيحه وأحمد بن حنبل والحاكم فى المستدرک والحافظ أبو محمد السمرقندى فى بحر الأسانيد

وابن جبر فى تهذيب الآثار والأربلى فى كشف الغمة نقلاً عن فتح الملك العلى بصره حديث باب مدينة العلم على للحافظ أحمد بن

محمد الصديق الفمارى ط ٢، ١٩٩٦.

[٢٩٤] أبو نعيم فى حلية الأولياء والديلمى فى فردوس الأخبار وغيرهما نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ط الأعلمى ص ٧.

[٢٩٥] أخرجه الخوارزمى وابن المغازلى الشافعى والمناقب ج ٢ ص ٣٠.

[٢٩٦] راجع مناقب آل أبى طالب ج ١ فصل فى المسابقة بالعلم، والبحار ج ٤١ باب ٩٣ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة وغيرها.

[٢٩٧] بحار الأنوار ج ٤٠ باب ٩٣ عن النقاش فى تفسيره، ومناقب آل أبى طالب ج ١ فصل المسابقة فى العلم.

[٢٩٨] راجع فصل فى عهد الخلفاء فى الحلقة الأولى من دراستنا عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

[٢٩٩] البحار ج ٤٠ باب ٩٣ عن كشف الغمة.

[٣٠٠] المرجع السابق باب ٩٣ نقلاً عن الخصال.

[٣٠١] البحار ج ٤٠ باب ٩٣ ويشبهه في الإرشاد للشيخ المفيد ص ١٩١.

[٣٠٢] أعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ٦٣ عن الاستيعاب ومثلها في الإصابة والإتقان وحلية الأولياء وفي صحيح مسلم ج ٦.

[٣٠٣] نفس المصدر عن غرر الحكم للآمدی.

[٣٠٤] نفس المصدر: عن نهج البلاغة.

[٣٠٥] شرح النهج ج ٢ ص ٢٨٦ ونفس الرواية في البحار: ٤٠ باب ٩٣ ص ١٩٢ ولكنه يروى أن الرجل كان تميم بن أسامة التميمي.

[٣٠٦] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩.

[٣٠٧] شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٨٦ وما بعدها.

[٣٠٨] فطر الخلائق: ابتدعها على غير مثال سابق.

وتد: ثبت.

الميدان: التحرك بالتمايل.

[٣٠٩] نهج البلاغة رقم الخطبة ١، لا عن حدث: لا عن إيجاد موجد.

المزايلة: المفارقة والاختلاف.

الروية: التفكير.

أجال: ردد أو أدار.

همامة: اهتمام الأمر وانشغال بال.

لأم: قرن.

غرز الغرائز: أودع فيها الطباع.

قرائن: جمع قرونه وهي النفس.

الأحناء: الجوانب.

لا تقعد القلوب منه على كيفية: أي ليست له كيفية فتحكم بها.

[٣١٠] نفس المصدر رقم ٨٥.

[٣١١] نهج البلاغة رقم ١٨٢، يتعاوره: تطراً عليه الزيادة والنقصان.

[٣١٢] نفس المصدر والخطبة.

وهم: تفكير وتوهم.

النائل: العطاء.

أين: إشارة للمكان.

[٣١٣] الميثاق: العهد.

الأنداد: الأمثال وهم المعبودون من دون الله.

اجتالتهم: أبعدتهم عن هدفهم.

واتر: جعل بين كل نبي وآخر فترة.

ليستأدوهم: ليطلبوا الأداء منهم.

وصب: تعب.

[٣١٤] نهج البلاغة رقم النص ١ «باب الخطب».

نسلت القرون: تتابعت.

المحجة: الطريق الواضحة المستقيمة.

إنجاز عده: وعده الله تعالى بإرسال محمد (صلى الله عليه وآله).

السمات: العلامات التي بشر بها النبيون السابقون لرسول الله محمد (صلى الله عليه وآله).

ملحد في اسم الله: يخرج به عن حقيقة مسماه.

[٣١٥] نفس المصدر نص ١٤٤.

[٣١٦] نفس المصدر رقم ١٤٧، تجلى: ظهر بآيات لا برؤيته المباشرة.

المثلاث: العقوبات.

[٣١٧] خطبة رقم ٢ من نهج البلاغة.

الغالى: المغالى المبالغ الذى يتجاوز الحد فى الإفراط.

[٣١٨] نفس المصدر رقم ١٤٤.

[٣١٩] نفس المصدر رقم ١٥٢.

[٣٢٠] نهج البلاغة رقم النص ٨٧، تؤفكون: تصرفون عن الحق.

المنار: جمع منارة.

يتاه بكم: الحيرة والضلال.

تعمهون: تتحيرون.

العترة: النسل.

ردوهم وردود إليهم العطاش: هلموا إلى بحار علومهم مسرعين كإسراع الإبل العطش إلى الماء.

[٣٢١] نفس المصدر رقم ١٠٠، حوى نجم: غاب.

[٣٢٢] راجع الحلقة الثانية من هذا الكتاب (الفصل الأول) لملاحظة النصوص بهذا الصدد.

[٣٢٣] نهج البلاغة رقم ١٢٩.

النهمة: المبالغة فى الحرص وشدة الشهوة.

الحائف: الظالم.

المقاطع: حدود الله.

الدول: المال.

والمراد بالحائف بالدول: الظالم فى توزيع المال حيث يفضل قوماً على قوم فى العطاء.

[٣٢٤] نفس المصدر رقم ٧٣ فى باب المختار من كلامه (عليه السلام).

[٣٢٥] يراجع عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك الأشتر واليه على مصر فى نهج البلاغة رقم ٥٣ فى باب الكتب.

[٣٢٦] نفس المصدر.

[٣٢٧] المراجعات: السيد عبدالحسين شرف الدين مراجعة (١١٠) ص ٣٢٤.

[٣٢٨] نفس المصدر.

[٣٢٩] مناقب آل أبي طالب ج ١ «في المسابقة بالعلم» ج ٢ ص ٤١.

[٣٣٠] مباني تكملة المنهاج ج ٢ كتاب الديات: السيد أبو القاسم الخوئي.

[٣٣١] أصول الكافي ج ١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة (عليها السلام).

[٣٣٢] الأديم: الجلد.

الفالج: الجمل العظيم ذو السنامين.

والأرش: دية الجراحات.

[٣٣٣] عقيدة الشيعة في الإمام الصادق: السيد حسن يوسف مكى العالمى ص ٦٥.

[٣٣٤] يراجع أصول الكافي ج ١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة (عليها السلام) وعقيدة الشيعة في الإمام الصادق

ص ٦٦.

[٣٣٥] أعيان الشيعة ج ٣ قد ٢ باب «مؤلفات أمير المؤمنين (عليه السلام)».

[٣٣٦] راجع أعيان الشيعة ق ٢ ج ٣ ص ٢٧٤ ط-٣ بيروت للسيد محسن الأمين.

[٣٣٧] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص: ٢٨٦ والبحار ج ٤٠ ص ١٣٠ عن المنهج.

[٣٣٨] شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ٢ ص ٢٨٧.

[٣٣٩] نفس المصدر ص ٢٨٩، أعشى باهلة: عامر بن الحارث.

[٣٤٠] نفس المصدر ص ٢٩٠.

[٣٤١] دراسات في نهج البلاغة- محمد مهدي شمس الدين ط ١٩٧٢.٢ ص ١٨٦ وما بعدها. وللاستزادة يراجع فصل المغيبات من نفس

الكتاب ج ٢ ص ٢٨٦ وما بعدها من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ١ سنة ١٩٥٩.

[٣٤٢] مثل خطب الملاحم رقم ١٨٧ و ١٥٨ و ١٥٠ و ١٣٨ و ١٢٨ و ١٠١ والخطب التي تتحدث عن آخر الزمان مثل ١٦٦ و ١٠٣ و

١٠٨ الملاحم: الوقائع العظيمة.

[٣٤٣] رقم النص ٢٠١ (باب الخطب).

السخط: الغضب.

ثمود: قوم نبى الله صالح (عليه السلام).

خارت: من الخوار صوت الثور، أى حين خسف الله أرضهم كان لها صوت كصوت الثور.

السكة المحمأة: حديدة المحرات.

الأرض الخوارة: اللينة الهشة.

[٣٤٤] نفس المصدر رقم ٢٠٣ مجاز: ممر إلى الآخرة.

[٣٤٥] نفس المصدر ص ١١٤، وعاءها: فهمها وحفظها.

حمت: منعت، يعنى التقوى منعت الأولياء من ارتكاب الجرائم.

الهواجر: الأيام الشديدة الحر ومع شدة حرارتها فقد أظمأ المتقون أنفسهم فيها صوماً.

النصب: التعب.

[٣٤٦] ملق: التملق.

العى: العجز.

[٣٤٧] روح الله: لطفه ورأفته.

مكر الله: أخذه للعبد بالعقاب دون شعوره.

[٣٤٨] للمزيد راجع باب المختار من حكم الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة، وتحف العقول لابن شعبه الحراني وج ١٩ وج ٢٠ من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وغيرها.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١). قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولا سيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحه صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشبّاب و عموم الناس إلى التحرّى الأدقّ للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النّافعة - مكان البلاّتيّة المبتدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبّهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يُمكن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنّه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخرى

(هـ) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعیه و اعتباریه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة
 (ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة
 المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و "مفتق" و "فائى/ " بنايه " القائمية "
 تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)
 رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولىّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩